

المظاهر الاقتصادية والاجتماعية للأزمات الاقتصادية في الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة

نغم عدنان احمد

د. أحلام حسن النقيب

قسم التاريخ / كلية التربية

جامعة الموصل

القبول

الاستلام

٢٠١١ / ٠٤ / ٠٦

٢٠١٠ / ١٢ / ٢٧

Abstract:

During the Islamic Arab rule (92-897 / 711-1492) Andalusian witnessed many of economic crises which have varied in their shapes and were different in their reasons in spite of all the flourish and prosperity which the country was known.

These crises, especially the severe ones, made a direct influence in the human life and performed in many of their cases a direct threaten on human survive without looking on their causes whether natural or the human ones.

The study of economic and social aspects for the economic crises in Andalusian should study many things like the appearance and repetition of famines, poverty spread, need and the migration from the country. In addition to the spread of diseases which controlled the society especially plague and caused a lack in the population which in its role led to a lack in the effective population of working hands and gone with enormous number which were at some times unable to count the victims especially those which came with the famines, rise, starvation, high prices.

ملخص البحث:

شهدت الأندلس خلال الحكم العربي الإسلامي (٩٢-٨٩٧ هـ / ٧١١-١٤٩٢ م) العديد من الأزمات الاقتصادية التي تنوعت أشكالها واختلفت أسبابها بالرغم من كل ما عرفت به البلاد من سعة ورخاء.

لقد أحدثت الآزمات الاقتصادية ولاسيما الشديدة منها أثراً مباشراً بالغاً في حياة البشر وشكلت في كثير من حالاتها تهديداً مباشراً على بقاء الناس بغض النظر عن مسبباتها سواء الطبيعية منها او البشرية.

ان دراسة المظاهر الاقتصادية والاجتماعية للأزمات الاقتصادية في الأندلس يقتضي دراسة أمور عديدة منها ظهور المجاعة وتكررها وان تشار الفقر والحاجة والهجرة من البلاد وترك المناطق فضلاً عن انتشار الأوبئة والأمراض ، لقد سببت الأمراض البشرية التي اجتاحت المجتمع ولاسيما الطاعون منها نقصاً واضحاً في أعداد السكان فكانت الأمراض سبباً في فقدان القوى البشرية العاملة والمنتجة وأذهبت لبعدها كبيرة عجز في بعض منها إحصاء الضحايا خاصة تلك التي ترافقت مع وقوع القحط او المجاعة او الغلاء.

المقدمة:

عرفت الأندلس بالسعة والرخاء حتى وصفت بالفردوس المفقود فمن الصعب ان يتخيل المرء حدوث أزمة اقتصادية وضيق معاشي فيها ولاسيما انها اشتهرت بطيب الأرض وتنوع الثمار والغلات.

ومن هنا جاء اختيارنا لهذا البحث (المظاهر الاقتصادية والاجتماعية للآزمات الاقتصادية في الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة). لنسلط الضوء على تلك المدة العصبية التي مرت بها البلاد وما تحمله ساكنوها من عناء ومشقة إزاء هذه الآزمات والضائقات على اختلاف مسبباتها من عوامل طبيعية او بشرية.

لقد حظي التاريخ السياسي والعسكري للدول بعناية خاصة من قبل الباحثين والدارسين في هذا المجال في حين أهمل الجانب الاقتصادي او جاء من مرحلة متأخرة من تلك العناية بالرغم من تأثيره المباشر في الفرد والدولة.

لقد تضمنت هذه الدراسة مقدمة ومدخل للبحث تضمن إعطاء المفاهيم والدلالات لكل من مصطلح الأزمة والاقتصاد ثم تعريف الأزمة لغة واصطلاحاً وكذلك الاقتصاد وصولاً الى تعريف الأزمة الاقتصادية ثم تناولنا أولاً المظاهر الاقتصادية للآزمات الاقتصادية ومنها ظهور المجاعة وتكررها ثم انتشار ال فقر والحاجة وثانياً تناولنا المظاهر الاجتماعية للآزمات الاقتصادية اذ تضمنت الهجرة والنقص السكاني والأمراض والأوبئة وغير ذلك.

اقتضت هذه الدراسة الاعتماد على مصادر ومراجع في غاية الأهمية ولا شك ان كتب التاريخ العام تعد الركيزة الأساسية لإعداد أية دراسة فضلاً عن كتب الأدب والجغرافية والتراجم والفقه والحسبة . ولعل أهم وابرز كتب التاريخ فائدة لموضوع الدراسة هو كتاب المقتبس لابن حيان الذي أغنى الدراسة بمعلومات قيمة ودقيقة لكونه شاهد عيان ومعاصر للأحداث وبأجزائه

المختلفة وكذلك كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي الذي أمدنا بمعلومات متنوعة يكاد ينفرد بها مع توخيه الدقة والمصداقية فضلاً عن إتباعه المنهج الحولي في الكتابة مما سهل علينا معرفة السنوات التي شهدت أحداثاً ذات صلة بموضوع الدراسة وكذلك كتاب أعمال الأعمال فيمن بويغ قبل الاحتلال من م لوك الإسلام لابن الخطيب السلماني وكتابه الآخر الإحاطة في أخبار غرناطة الذي يعد من الكتب الثمينة لأهميتها الكبيرة فقد أعطانا أسماء شخصيات ذهبوا ضحية الطاعون الجارف الذي اجتاح غرناطة عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م وغير ذلك من معلومات مهمة أفادت الدراسة وأغنتها في أكثر من موضع. فضلاً عن كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب للم قروي فهو موسوعة شاملة عظيمة في معلوماتها فقد جاءت معلوماته الغنية الوافرة التي غطت فقرات البحث على اختلافها.

اما كتب الأدب فكان كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشترتري أوسعها واشملها فلم تكن معلوماته أدبية بحتة بل تضمن العديد من المعلومات التاريخية التي شهدتها الأندلس والتي أفادت الدراسة كثيراً.

اما كتب الجغرافية فكان لكتاب صورة الأرض لابن حوقل النصيبى فائدة كبيرة لكونه شاهد عيان على أوضاع الأندلس الاقتصادية والجغرافية عند زيارته لها في القرن الرابع للهجرة فأعطى معلومات وافية عن طبيعتها.

وكان لكتب التراجم أهمية كبيرة في سد الكثير من الثغرات في المعلومات الواردة عن الحوادث التاريخية وكتاب تاريخ علماء الأندلس لمؤلفه ابن الفرضي يعد مصدراً أساسياً لمعرفة دور هؤلاء العلماء والفقهاء في أوقات الأزمات والتخفيف منها على الفرد والمجتمع عند وقوعها. وكتب الحسبة لا تقل أهمية عن المصادر الأخرى فقد أمدت الدراسة بمعلومات غنية عن الناحية الاقتصادية وعلى الرغم من أهمية المصادر الأولية التي لا غنى لأي دراسة أكاديمية تاريخية عنها فإن هناك العديد من المراجع والدراسات الحديثة التي أعطت الكم الكبير من المعرفة وسهلت الوصول الى المعلومة بأيسر الطرق فضلاً عن احتوائها على استنتاجات وأفكار وآراء أفادت الدراسة وأغنتها وفي هوامش البحث سنتعرف على العديد منها.

ومن الله التوفيق

لا يخلو تاريخ البشرية في كل عصوره من ظاهرة الأزمات بعامة والاقتصادية منها بخاصة فهي قديمة قدم التاريخ وليست وليدة العصر والحاضر على الرغم من اختلاف تسمياتها بين

الماضي والحاضر إلا انها تحمل الظواهر نفسها وتتشرك بأغلب المسببات والنتائج الناجمة عنها.

وقبل ان نتناول المظاهر الاقتصادية والاجتماعية للأزمات الاقتصادية في الأندلس لابد لنا من التعريف بالأزمة لغةً واصطلاحاً والاقتصاد لغة واصطلاحاً لكي نصل في النهاية الى مفهوم الأزمة الاقتصادية.

فللأزمة حملت معاني عديدة دلت بمجملها على الشدة والضييق ف الأزمة لغة من أزم يأزم أزماً وأزوما فهو أزم^(١) وقيل أزم على القوم العام والدهر أزماً وأزوما اذا اشتد قحطه وقل خيره^(٢). وسنة أزمة (بالفتح) أي شديدة^(٣)، وأزم (بالمد) هو الضيق وتداني الشيء من الشيء بشدة والتفاف^(٤) وأزم عند ابن منظور هو الجذب والمحل^(٥) وأوآزم أي السنون الشدائد^(٦) وازيم هي السنة المجدة^(٧).

والأزمة الشدة والقحط^(٨) والسنة المجدة شديدة الجذب والمحل^(٩) والسنة أزمة للشدة التي فيها^(١٠).

اما الأزمة اصطلاحاً: فقد تطور مفهوم الأزمة بتقادم الزمن واخذ بالاتساع فأصبح بمرور الوقت يعطي دلالات أكثر عمقاً إلا ان اختلاف المسبب للأزمة يجعل تعريفها يختلف من علم الى آخر فكل علم يعرف الأزمة بحسب وجهة نظره لها فتعريف السياسيين للأزمة يختلف مثلاً عما هو عند علماء الاجتماع او الإداريين وغيرهم. على ان ذلك لا يعني وجود تعريف عمومي للأزمة فقد عرفت بأنها مجموعة الظروف و الأحداث المفاجئة التي تتطوي على تهديد واضح للوضع الراهن المستقر في طبيعة الأشياء فهي بذلك النقطة الحرجة واللحظة الحاسمة التي يتحدد عندها مصير تطور ما^(١١) او هي ظرف انتقالي يتسم بعدم التوازن ويمثل نقطة تحول تحدد في ضوءها أحداث المستقبل التي تؤدي الى تغيير كبير^(١٢).

ان الأزمة وليدة الظرف والمحيط الذي تنشأ منه فمن الصعوبة بمكان حصر الأزمة بتعريف شمولي واحد يتفق مع كل الظروف و الأحوال التي تنشأ فيه لذا نجد ان تعريفها يتعرض للتغيير بمرور الزمن فيظهر بين كل حين تعريف جديد ، في حين قد يندثر آخر او تتغير بعض مدلولاته تبعاً لتطور العصور وتغير العوامل المؤثرة في نشوء الأزمة.

اما تعريف الاقتصاد : فقد نجد صعوبة للوصول الى تعريف موحد شامل للاقتصاد نظراً لكثرتها وحالة التغير المستمر الذي يطرأ على مفهوم الاقتصاد وتبعاً لتطور وتغير المجتمعات والدول واقتصادياتها.

فالاقتصاد لغة: متأتى من قَصَد أي الاستقامة والاعتدال في السلوك قال تعالى في محكم كتابه (وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْصِضْ مِنْ صَوْتِكَ)^(١٣) وقصد بين الإسراف والتغيير يقال فلان مُقْتَصِد في النفقة^(١٤) وجاء في الأثر (ما عال من اقتصد) أي اعتدل في إنفاقه^(١٥).

اما الاقتصاد اصطلاحاً : فقد انصرفت دلالاته الاصطلاحية الى تدبير معاش الأسرة بالموارد المتاحة فعرف بالاقتصاد المنزلي ثم توسعت تلك الدلالة لتشمل تدبير شؤون المجتمع المعاشية بقوامة الدولة وإدارتها^(١٦) وبذلك يمكن القول انه يشمل أيضاً تدبير شؤون المال اما بتكثيره وتأمين إيجاده ويبحث علم الاقتصاد فيه وبكيفية توزيعه و هو من اختصاص النظام الاقتصادي^(١٧).

على ان ما ذكر من توصيف للاقتصاد قد لا ينطبق بدقة على ما بات يشملها فيما بعد فقد تطور بتطور الحياة و أصبح الاقتصاد علماً قائماً بذاته فعرف بأنه العلم الذي يدرس عملية الإنتاج والتوزيع في علاقتهما مع الحياة الاجتماعية مع الأخذ بنظر الاعتبار الظروف التاريخية للمدة الزمنية^(١٨).

بعدما ذكرنا مدلولات الأزمة سواء اللغوي منها أم الاصطلاحي وكذا الحال للاقتصاد أصبح من اليسير علينا تكوين فكرة أولية عما تعنيه الأزمة الاقتصادية. فهي الاضطراب الشديد في تدبير أمور الدولة المالية الذي يحتاج الى بذل جهد وتسخير طاقات لإزالته وإعادة الوضع الى الاستقامة والاعتدال وليس المقصود بالأزمة الاقتصادية ذلك الخل البسيط في الأمور المالية الذي يمكن معالجته بالوسائل العادية وبأسر الطرق^(١٩) وبتعريف آخر هي الاضطراب الذي يطرأ على التوازن الاقتصادي الذي ينشأ في العادة عن اختلال التوازن بين الإنتاج والاستهلاك^(٢٠).
فللأزمة الاقتصادية إذن تعرف على انها (كل خلل يحدث في موارد الدولة بسبب عوامل طبيعية او بشرية وينعكس أثره على الدولة والفرد).

أولاً: المظاهر الاقتصادية للزمات الاقتصادية

١ - ظهور المجاعة وتكرارها

تعد المجاعات ابرز الظواهر المرافقة للزمات الاقتصادية سواء ذات المسبب الطبيعي أم البشري والمجاعة اسم للمخمصة والشدة وهي نقيض الشبع فهي حالة شح الغذاء او عدمه وما قد ينتج عنه من معاناة الناس وانتشار الأمراض وقد يتدهور الأمر ليصل الى موت أعداد من الناس ولاسيما الفقراء منهم^(٢١).

وأسباب حدوث المجاعات عديدة فمنها الطبيعي مثل حالات الجفاف وانحباس الأمطار وما ينتج عن ذلك من قلة الإنتاج الزراعي ومن ارتفاع أسعار المتوافر من القوت فيعجز عن شرائه غالبية الناس، كذلك هجوم أسراب الجراد وتدميره للمحاصيل الزراعية او انتشار الأمراض الفتاكة بين الناس فيقعدهم المرض عن أداء أعمالهم مما يتسبب في تعطيل الأسواق وإغلاق المحال فضلاً عن عجز الفلاحين عن العناية بالإنتاج الزراعي وبذلك تشل الحياة العامة.

اما الأسباب البشرية للمجاعات فإننا نلحظ ان هذه الظاهرة قد ترافقت مع اغلب حوادث الحروب والثورات والفتن وحصار المدن فتصبح سلاحاً يفتك بالناس يجعلهم في عجز عن المقاومة والثبات ليدفعهم في النهاية الى الاستسلام.

فضلاً عن تأثير الضرائب والجبايات التي تفرضها الدولة على الرعية والتي ترهق ك أهلهم فيضعف بذلك اعمار الأراضي ونقل الأقوات وتغلو فتقع المجاعة^(٢٢).

ان موجات المجاعات كانت تعصف بالعديد من أرواح العامة ، صحيح ان المجاعات كانت تطال كل الطبقات غير ان طبقة الخاصة كان لها من الوسائل ما تقاوم به هذه الشدائد كتخزين الأقوات وامتلاكهم الأموال التي تسهل لهم الحصول على القوت وقت الحاجة ، اما العامة فلم يملكو إلا قوتهم اليومي ولم تكن لهم القدرة على الاختزان لمواجهة هذه الكوارث اذا ما حصلت^(٢٣).

وفي الأندلس لم يختلف الحال عن بقية البقاع فقد عانت قبل غيرها من البلدان الإسلاميين من ويلات المجاعات حتى تردد صدى ذلك في أمثالهم فقالوا (الجوع مالوا عينين)^(٢٤) وعلى ذلك استعانت بعض المدن بطرق خاصة لحفظ وتأمين مصادر الغذاء في سنوات المجاعة فكان أهالي مدينة لورقة يخزنون المواد الغذائية تحت الأرض في سنوات الرخاء حيث امتازت تربة المدينة بخاصة حفظ الطعام حتى عشرين سنة دون ان يتلف فكان معيناً لهم في السنوات العجاف^(٢٥).

كما عمد أه ل حصن بطروش (pedroche)* على العناية بشجر البلوط الذي يحيط بجبالهم وسهولهم ويحرصون على حفظ إنتاجه من البلوط حيث يكون لهم قوت وغيث وغلة في سنوات المجاعة ولاسيما ان البلوط عندهم كان يتميز بجودة الثمرة وحسن المذاق حتى سمي الفحص بفحص البلوط^(٢٦).

ومما يذكر في هذا المقام ان بلاد الأندلس وقبيل الفتح الإسلاميين قد شهدت وقوع مجاعة شديدة فيما بين عام (٨٨-٩١هـ / ٧٠٧-٧٠٩م) على عهد الملك القوطي غيطةشة witiza (٨٣-٩١هـ / ٧٠٢-٧١٠م) وانضم اليها نقشي الوباء فمات عدد هائل من السكان^(٢٧) فأثرت هذه المجاعة في قوة الدولة القوطية وعلى اق تصادها فضلاً عن النقص السكاني في المناطق التي عانت من المجاعة.

اما بعد الفتح الإسلاميين للأندلس فإن أول مجاعة عامة شملت البلاد تلك التي وقعت سنة (١٣١هـ / ٧٤٨م) واستمرت حتى سنة (١٣٦هـ / ٧٥٣م) وعرفت بسني برباط^(٢٨) نسبة الى وادي بكورة شذونة لجأ اليه أهل الأندلس في تلك السنوات^(٢٩).

اما عن سبب المجاعة فيعود الى توافق حدوث القحط وانحباس الأمطار مع حروب العرب مع بعضهم وبين العرب والبربر خلال تلك المدة فانشغل الجميع بتلك النزاعات عن العناية بالأرض وعمارتها فتفاقم الوضع الى ان وصل أسوأ حاله بانتشار المجاعة في عموم البلاد^(٣٠).

ولم تكن تلك المجاعات حدثاً عابراً فقد خلفت وراءها آثاراً سيئة على المسلمين في الأندلس فاستغل النصارى الأسبان هذه الظروف واخذوا ينحدرون الى الجنوب واحتلوا مناطق واسعة واقعة بين نهري دوبرة (Doura) وتاجه واخذوا يغيرون على المسلمين واستولوا على جليقيها (Galicla) واخرجوا المسلمين من مدينة استرقة (Astorga) فكان للعدو الغلبة على المسلمين لولا ان شملهم الجوع فأضعفهم أيضاً^(٣١).

وبلغ من سوء الوضع ان قطعت الصلات بين نواحي البلاد فيذكر صاحب أخبار مجموعة ان يوسف الفهري احتاج مرة الى رسول يبعثه الى الصميل فلم يجد اذ كان الرسل القادرون جميعاً قد هلكوا وانقطعت المواصلات التي كانت بين قرطبة وسرقسطة^(٣٢).

ليس هذا فحسب فعندما ثار الحباب بن رواحة من بني زهرة بن كلاب عام (١٣٧هـ/٧٥٥م) على الصميل بسرقسطة وحاصره مدة سب عٍ أشهر بعث الصميل يستنجد بيوسف الفهري^(٣٣) الذي اعتذر بشدة لسوء حالة الأندلس بسبب المجاعة وامتنع عن إغاثته لضعف الحال فلم يكن لدى يوسف الفهري رجال ليمد بهم الصميل^(٣٤).

وبعد قيام الإمارة الأموية في الأندلس وعلى عهد أميرها الحكم بن هشام وقعت مجاعة شديدة في البلاد وذلك في عام (١٨٩هـ/٨٠٤م) ترافق مع هذه المجاعة انتشار ا لوباء فأذهب لبلعداد كبيرة من الناس ولم يقتصر على الأندلس بل شمل المغرب وأفريقيا أيضاً^(٣٥).

وفي سنة (١٩٧هـ/٨١٢م) عمت ارض الأندلس مجاعة شديدة نتيجة لانحباس المطر طوال موسم الزراعة فمات فيها أكثر الخلق لما عانوه من ضروب الحرمان والبؤس حتى اضطر البعض منهم الى عبور البحر نحو العدو المغربية^(٣٦) على الرغم من ان ابن عذاري يجعل سنة وقوع المجاعة عام (١٩٩هـ/٨١٤م) إلا انه من الثابت حدوث مجاعة شديدة في مدة حكم الأمير الحكم بن هشام^(٣٧).

وتكررت المجاعة في سنة (٢٠٧هـ/٨٢٢م) على عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط وكحال سابقاتها أودت هذه الأزمة لبلعداد كبيرة من الضعفاء والمساكين الذين لم يجدوا ما يقتاتون به في هذه المجاعة نظراً لقلة الطعام وغلاء الأ سعار^(٣٨) وسبب هذه الأزمة حسب ما أورده ابن حيان هو انتشار الجراد بالأرض وإتيانه على الغلات وهجومه على الجهات فضلاً عن توقف المطر وانحباسه فخرج أهل قرطبة الى صلاة الاستسقاء^(٣٩).

واتفق القحط والجراد مرة ثانية ليؤدي بأهل الأندلس الى مجاعة عظيمة عمت بلادهم في عام (٢٣٢هـ/٨٤٦م) وعلى عهد الأمير نفسه فلم يقتصر اثر هذه المجاعة في البشر فحسب بل لحقت المواشي أيضاً التي لم تجد ما تقتات عليه فهلكت فضلاً عن احتراق الكروم والزروع لقلة المطر وتأثير الجراد فأصاب الناس من ذل ك ضيق العيش والحرمان حتى اضطروا الى جلب المؤن من العدو المغربية^(٤٠).

وفي عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن عانت البلاد من قحط شديد رافقه وقوع المجاعة وذلك في عام (٢٥٣هـ/٨٦٧م) وحسب نص ابن عذاري فقد كانت تلك المجاعة متوالية استمرت الى عام (٢٦٠هـ/٨٧٣م) فمات من جرائها أعداد كبيرة من الناس ^(٤١) وكانت السنة الأخيرة (٢٦٠هـ/٨٧٣م) أشدها ضراوة على الناس حتى جرى المثل بها على ألسنتهم بسنة ستين ^(٤٢) فقد رافقها غلاء الأسعار وقلة الأقوات وانتشار الوباء في البلاد ^(٤٣).

ويبدو ان تأثير هذه الأزمة خلال تلك السنوات كان شديداً فانتشر في مدينة قرطبة السراق وأهل الشر وازدادت بذلك معاناة الأهالي في المدينة فرفعوا شكواهم الى الأمير محمد الذي ولى إبراهيم بن الحسين بن عاصم ^(*) أحكام السوق والشرطة للتصدي لأهل الفساد وإعطاء الإذن بصلب وقتل المفسدين دون الرجوع الى رأي فقيه أو أمير وقد عرف عن ابن عاصم الشدة والصرامة فبدأ بمحاسبة الناس وقتل من يؤتى به على انه من أهل الفساد حتى تجاوز الحد فكان بين يديه من المصلوبين عدد عظيم ^(٤٤).

وفي عام (٢٨٥هـ/٨٩٨م) على عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ألفت بالبلاد مجاعة شديدة اجتاحت الأندلس وبلاد العدو فغلى السعر كثيراً حتى اعجز الناس ^(٤٥) الى ان وصل بهم الحال ان أكل الناس بعضهم البعض حسب رواية ابن ابي زرع وطبيعي ان ينتشر جراء ذلك الوباء بينهم فأذهب بأعداد لا تحصى من البشر ^(٤٦) فكانت محنة شديدة ثقيلة الوطأة على الناس حتى اشتهرت تلك السنة بسنة لم أظن ^(٤٧).

ولم ينته عهد الأمير عبد الله بن محمد حتى وقعت مجاعة أخرى وذلك سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م) عرفت تلك السنة بسنة جوع جيان عانى الناس خلالها الكثير فمات بها كثيرون ورحل عن الأندلس نحو العدو المغربية قسم آخر هرباً من قسوتها ^(٤٨)، اما سبب تسميتها فقد يعود الى ان باكورة المجاعة بدأت من مدينة جيان حتى نسبت اليها.

وعند اعتلاء الأمير عبد الرحمن بن محمد عرش السلطة وبعد ثلاث سنوات من حكمه خيم على البلاد شيخ المجاعة من جديد وذلك سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م) بعد ان أمحل الناس طوال عام (٣٠٢هـ/٩١٤م) فقل ظهور الحنطة والقوت وغلت الأسعار بسوقهم وانتشر الوباء بأرضهم فكثر الموت بين أهل الحاجة والفاقة من العامة ^(٤٩)، حتى قبل انها كمجاعة سنة ستين أي عام (٢٦٠هـ/٨٧٣م) لشدتها وضراوتها ^(٥٠).

ويذكر ابن حيان ان من شدة غلاء الأسعار وشحة الأقوات ان بدأ الناس يتساقطون موتى من قسوة الجوع والحرمان (وفشا فيهم التباغض والتقاطع بين ذو الأرحام فضلاً عن الاباعد وعمّ الجوع الأندلس كلها ودام نحو سنة فلهلك خلقاً من أهلها) ^(٥١).

ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب بل ان هول المجاعة اضطرت الأمير عبد الرحمن الثالث الى وقف عملياته العسكرية فلم يسير أي صائفه في تلك الأزمة لما كان في الناس من ضيق وضعف واكتفى بضبط أطراف البلاد والمدن خوفاً من اعتداءات خارجية والتصدي لقطاع

الطرق الذين كانوا لا يفترون عن التعرض للمسلمين وجالبي الميرة والمؤمن من التجار خاصة^(٥٢).

كما لم يكن من الغريب ان تدفع تلك الظروف القاسية بالثائر عمر بن حفصون لطلب الصلح بعد ان ضاق من حوله ذرعاً بسوء الحال جراء القحط والمجاعة فضلاً عن اعتبارات أخرى أسهمت بتقديم الطاعة لسلطة الأمير عبد الرحمن الثالث^(٥٣).

وفي عام (٣١٧هـ/٩٢٩م) وبعد إعلان الخلافة الأموية في الأندلس حلت مجاعة جديدة في البلاد نتيجة انحباس المطر فغلت الأسعار على نحو ما حدث في عام (٣٠٣هـ/٩١٥م)^(٥٤).

ووقعت أول مجاعة في البلاد بعد تولي الخليفة الحكم المستنصر بالله في عام (٣٥٣هـ/٩٦٤م) ويبدو ان سبب حدوث المجاعة كان انحباس المطر في موسم الزراعة اذ ما لبث الغيث ان هطل في العام التالي والذي روى الزرع والأرض فتلاشت بنزوله هذه الأزمة^(٥٥).

كما شهدت سنة (٣٥٨هـ/٩٦٨م) حدوث مجاعة عظيمة تكفل الخليفة الحكم المستنصر بمساعدة رعيته خلالها حتى زالت شدتها عن البلاد^(٥٦) وبعد سيطرة الحاجب المنصور محمد بن ابي عامر على مقاليد السلطة تجرعت البلاد ويلات المجاعة من جديد فقد استمرت المجاعة ثلاث سنوات من عام (٣٧٩هـ/٩٨٩م) الى عام (٣٨١هـ/٩٩١م) حسب رواية ابن ابي زرع^(٥٧). اما ابن الخطيب فيرجع حدوثها الى عام (٣٧٨هـ/٩٨٨م) استنادا الى ما نقله عن ابن حيان دون ان يذكر كم عاماً استمرت فيقول (واعتورته السنون الشدائد المتوالية)^(٥٨).

والظاهر ان هذه المجاعة كانت شديدة التأثير حتى قاربت مخزونات السلطة من المؤن والأقوات على النفاذ لكثرة الإنفاق منها دون ان يكون بالإمكان تعويضه حتى وصل الحال بالمنصور العامري للتفكير بالجواز الى العدو المغربية لخصبها^(٥٩) غير ان نزول الغيث أغاث البلاد (وأكلات الأرض وحطت الأسعار وحيي الناس وانتعشت البهائم والدواب)^(٦٠).

وبعد انقراط عقد وحدة الأندلس باستثناء كل حاكم بمنطقة معينة وقيام ما عرف بعهد ملوك الطوائف حلت بمدينة اشبيلية مجاعة قاسية على عهد حاكمها المعتضد بالله ا بن عباد وتحديداً في عام (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) فقد كان من شدتها ان سميت بعام الجوع الكبير وقال عنها من شهد أيامها ان الناس كانوا ((يدفنون الثلاثة والأربعة في قبر واحد، والمساجد مريضة أبوابها بالخزم (الحبال). لا يوجد لها من يؤم بها، ولا من يصلي فيها))^(٦١).

اما عهد المرابطين وتحديداً على عهد أميرها علي بن يوسف بن تاشفين اشتدت المجاعة في قرطبة وذلك في عام (٥٢٦هـ/١١٣٢م) رافقها بطبيعة الحال غلاء الأسعار وعانى الناس من انتشار الوباء بينهم فكثر الموت ومما زاد الطين بلة هجوم أسراب الجراد في ذلك العام على زرع قرطبة ولسنوات متتالية بعد ذلك^(٦٢).

وفي سنة (٦١٤هـ/١٢١٧م) و (٦١٥هـ/١٢١٨م) و (٦١٦هـ/١٢١٩م) وقع المحل الشديد في بلاد المغرب والأندلس الذي أدى الى مجاعة عظيمة حسب ما يذكر ابن عذاري وعلى عهد

الخليفة الموحيدي المستنصر بالله يوسف واستمرت تلك المجاعة تجهد الناس الى سنة (٦١٧هـ/١٢٢٠م) حتى فرج الله عنهم البلاء بأن عم الرخاء والعافية بعد ان تناهت الأ أسعار في الغلاء خلال سنين المجاعة^(٦٣).

وفي سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٧م) عصفت بلالأندلس والمغرب مجاعة شديدة عانى منها إنسان المغرب والأندلس واستمر أثرها الى السنة التالية^(٦٤).

إن تتبع حوادث المجاعات خلال تاريخ الأندلس مسألة شاقة وذلك لتداخلها مع كثير من حالات القحط والجفاف وغلاء الأ أسعار وما قد ينتهي اليه الحال من انتشار الأوبئة والأمراض بين الناس فقد يضطر الكثير من أهل الحاجة والفاقة الى أكل الأ طعمة الفاسدة وجلود الحيوانات وجيفهم هذا إن لم يوصلهم الجوع الى أكل بعضهم وهذا بطبيعة الحال يؤدي الى انتشار أمراض فتاكة تؤدي بحياة أعداد كبيرة من الناس نتيجة الجوع الشديد وبذلك تختلط عدة أسباب لتؤدي الى هلاك تلك الأعداد.

هذا إن لم نتطرق الى دور الاضطرابات الأمنية ولاسيما حصار المدن والتي أدت بأغلب حالاتها الى تسليم المدينة نتيجة لما يتجرعه المحاصرون من الم الجوع والحرمان فعلى سبيل المثال لا الحصر حصار البربر لمدينة قرطبة (٤٠٠-٤٠٣هـ/١٠٠٩-١٠١٢م) خلال الفتنة القرطبية كان من اشد الأيام التي مرت على عاصمة الخلافة لما عانى أهلها من ويلات الجوع^(٦٥).

وما وصل اليه ح ال أهل بلنسية خلال حصار السيد القمبيطور سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) من جراء الجوع حتى سقطت المدينة بعد حصار دام عشرين شهراً فكان الجوع الذي عاناه أهل بلنسية من اشد ما عرفه مسلمو الأندلس^(٦٦).

وبعد ضعف الموحيدين اخذ النصارى يستولون على المدن الواحدة تلو الأخرى فكان الحصار وتجويع أهل المدن خير وسيلة للوصول الى مبتغاهم مثل حصار مدينة اشبيلية (٦٤٦هـ/١٢٤٨م) الذي دام مدة عام ونصف العام تقريباً^(٦٧).

وعانت مدينة مالقة في عام (٦٦٣هـ/١٢٦٤م) من مجاعة نتيجة غلاء الأ أسعار يقول ابن عذاري في ذلك ((كان بلالأندلس غلاء مفروط أكثره بمالقة فكان فيه المأكول غال ونيله عويص ، وبيعت فيها الحاجة المثلثة بالثلثم الرخيص))^(٦٨).

٢ - انتشار الفقر والحاجة

لا يكاد يخلو أي مجتمع من المجتمعات من ظاهرة الفقر مهما بلغ من ازدهار وغنى فلا ريب ان يصبح الفقر مشكلة لازمت المجتمع الأندلسي كغيره فكما هو معلوم ان الأزمات الاقتصادية اذا ما حدثت في مجتمع ما فإن رجاها تطحن بالفئات الفقيرة التي كثيراً ما كان قوتها ليكفيها ليوم او يومين وان أي مجاعة وارتفاع في الأ أسعار او انتشار للأمراض والأوبئة او غير ذلك قد يحصل يكون أهل الخصاصة أولى ضحاياها ووقوداً لتلك الأزمة، حتى تكررت عبارات

المؤرخين في موت وهلاك "أهل الفاقة حتى كاد ان يعجز عن دفن الموتى"^(٦٩)، و "هلك فيه أكثر الخلق"^(٧٠)، و "مات أكثر الخلق جهداً"^(٧١). وغيرها من الدلالات التي تشابه هذا المعنى ، وبالرغم من ان حدوث المجاعة او أي شكل من أشكال الأزمة تكون في اغلب حالاتها عانة تشمل جميع الفئات والطبقات وقد تقود بعض الأحيان بالطبقات الخاصة الى الانحدار الى مستوى الحاجة إلا ان حدوث ذلك قد يكون قليلاً نظراً لما قد تمتلكه هذه الطبقة من مخزونات الطعام والقوت الذي يكفيها لتجاوز أزمات قد لا تطول كثيراً فضلاً عن امتلاكها الأموال التي تسهل عليها الحصول على ما تحتاج اليه في وقت الضيق.

ولشدة ما قد يعانيه ذوو الحاجة في أوقات المجاعات والحرمان تدفع تلك الشدة بعضاً منهم الى إثارة المشاكل ، ففي المجاعة التي استمرت من عام (٢٥٣هـ/ ٨٦٧م) الى عام (٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) الواقعة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن ان كثر ((فيها التطاول من الفسدة لفضل ما كانوا فيه من ضر السنة وكثرت الشكوى بذلك الى الأمير))^(٧٢).

وعلى ذلك يكون من الطبيعي ان ينتشر اللصوص وقطاع الطرق الذين يحاولون بتلك الأعمال التخفيف من حالة الحرمان التي يعانون منها او استغلالهم لضعف السلطة وسوء إدارة الدولة بالتمرد عليها في محاولة لتحسين أوضاعهم كما حصل في طول البلاد وعرضها في مدة إمارة الأمير عبد الله بن محمد^(٧٣).

لذا نجد ان أزمة القحط وما تبعها من مجاعة في عام (٣٠٢-٣٠٣هـ/ ٩١٤-٩١٥م) قد حرص خلالها الأمير عبد الرحمن الثالث على ضبط أطراف البلاد والتصدي ((لأهل الخلاف والخلعان ٠٠٠ اذ كانوا مع استيلاء المجاعة عليهم ، لا يفترقون عن العدوان ، على من مر بهم من رفاق المسلمين وطالبي المعيشة، وجالبي الميزة))^(٧٤).

وليس هذا فحسب بل حرص الأمراء الأمويون ان لا يولون أمور المسلمين لفقير يعاني الفقر خاصة في مسائل تتعلق بأموال المسلمين كالموارث والوصايا وغيرها، فعندما أراد الأمير الحكم الرضي (١٨٠-٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢١م) ان يقدم الفقيه يحيى بن يحيى (*) ويولييه بعض أمور المسلمين اعترض على ذلك عدد من أعلام العلماء لكونه فقيراً وقد تدفعه حاجته الى التجاوز على حقوق الناس على الرغم من ان علمه كان يؤهلها لما أريد ان يكون فيه لذا أقترح ابن الأمير الحكم، عبد الرحمن الثاني ان يعطي الفقيه مبلغاً من المال يغنيه عن التعدي على حقوق المسلمين ويجعله يتجاوز ما عرف عنه من الفقر وبذلك يكون مؤهلاً لما أريد ان يكون فيه من منصب^(٧٥).

وان كان مثل هذا الإجراء قد استفاد منه بعض ذوي العلم والمعرفة في مدة ما فإن ظروف الفتن والقلق فيما بعد والتي ضربت البلاد بعد سقوط العامريين جعلتهم على النقيض من ذلك فأودت بالعديد من رجال الدولة وتجار وشعراء الى شفير الفقر والعدم^(٧٦).

ثم تبع ذلك ما عرف بعهد ملوك الطوائف والتي تمتعت بأنواع الترف والغنى على حساب طبقة أخرى مكافحة مكدودة تعمل وتعاني قسوة الظلم والحرمان أثقلت بالجزية والضرائب الباهظة التي كانت تقدم لحكام الأسبان آنذاك الى جانب ضرائب أخرى فرضت على الشعب وقت السلم والحرب^(٧٧).

ولنا في ذلك خير مقال على ما وصل اليه أهل بلنسية من فقر مدقع تحت حكم الصقليين العامريين مبارك ومظفر من جراء الظلم والضرائب حتى أصبح الكثير من رعيتهم ((يلبسون الجلد والحصر ويأكلون البقل والحشيش))^(٧٨).

وحتى بعد سيطرة المرابطين على حكم البلاد لم يختلف حال الطبقة العامة كثيراً فكان مستوى عيشها منحطاً وأوضاعها سيئة حتى أصبحت (وثائق العدم) مسألة شائعة فأوصى ابن عبدون بأن لا تسلم إلا لمن يستحقها من الفقراء والمحتاجين^(٧٩) كما أحدثت خطة الناظر للمساكين^(٨٠).

وعلى ذلك نجد ان الطبقة الفقيرة كانت تقتات على الذرة في اغلب الأحيان بدل القمح وخاصة في فصل الشتاء حيث يشح القمح ويغلو فيلقى أهل الفاقة صعوبة مالية في شرائه^(٨١). غير ان الفقر والحاجة في بعض الأحيان لم يقتصر على الطبقة المعدمة والضعيفة فحسب بل قد يلحق بالجند والعسكر ، كما حدث لهم في عهد السلطان الغرناطي ابي الحسن علي فقد اضطر جنده الى بيع ثيابهم وخيلهم وآلات حربهم ليعتاشوا وذويهم بأثمانها لما يلحق بهم من قسوة الحاجة جراء إهمال السلطان لهم وللرعية^(٨٢).

ثانياً: المظاهر الاجتماعية لآزمات الاقتصادية

١ - الهجرة

لا تختلف المسببات التي تدفع السكان الى الهجرة وتركهم مناطقهم وأوطانهم عن غيرها من مسببات الظواهر المرافقة للآزمات الاقتصادية ولعل سوء الأحوال السياسية وما قد يرافق بعضها من تدهور الحياة الاقتصادية والتي تؤثر بشكل كبير ومباشر في معاش الناس هي أهم تلك الأسباب، وهذا لا يعني ان العوامل الطبيعية من قحط وجفاف او انتشار الوباء وغير ذلك لا يكون دافعاً لهجرة أعداد كبيرة من الناس إلا ان الفتن والحروب تكون المحرض الأقوى للهجرة فأغلب حالات القحط وانحباس الأمطار الذي قد يصيب بلداً ما يكون شاملاً لمعظم المناطق والانتقال من منطقة الى أخرى قد لا يجدي نفعاً في تخفيف وطأة الأزمة على السكان . وقد يسوء أمرهم الى درجة ترك بلدانهم والهجرة الى بلدان أخرى هذا إن لم يكن ذلك البلد واقع في دائرة الأزمة كما حدث في بعض الأحيان في شمول مناطق واسعة من البلدان الإسلام بآزمة قحط وجفاف عام في الوقت نفسه.

على ان هذا الكلام لا يلغي حالة وقوع القحط في منطقة دون أخرى في البلد نفسه فتكون هجرة الناس داخلية من منطقة القحط الى أخرى تمتاز بالخصب ووفرة الطعام.

اما انتشار الأوبئة مثلاً والطاعون منها خاصة فعلمنا كيف ان الرسول الكريم محمد (ﷺ) قد نهى عن الفرار منه والخروج من ارض الوباء الى ارض أخرى ومن ذلك كرهت الهجرة شرعاً في مثل هذه الحالة^(٨٣).

اما في حالات الفتن والاضطرابات الأمنية والحروب فإن قسوة تلك الأحوال تدفع السكان الى ترك مدنهم والرحيل الى مدن أخرى ليست على تماس مع العدو إن كانت مناطقهم حدودية او مدن نجت من فتنة تائر او متمرد.

وقد تتفق العوامل الطبيعية مع العوامل البشرية في منطقة ما فتكون الهجرة وترك تلك البقعة هي السبيل الوحيد للنجاة . كما حدث في بداية استقرار العرب المسلمين والبربر في الأندلس عندما حلت المجاعة نتيجة للقحط وانحباس المطر في البلاد متزامنة مع تلك الحروب العنيفة التي ضربت أطناها في البلاد فيما بين العرب تارة وبين العرب والبربر تارة أخرى. واستمرت تلك الأزمة تلقي بظلالها على الأندلس منذ عام (١٣١هـ / ٧٤٩م) وحتى عام (١٣٦هـ / ٧٥٥م) فكانت محنة قاسية آلمت بالبلاد اضطر معها الكثير من السكان للهجرة الى العدو المغربية واغلب من رحلوا الى طنجة وأصيلا وريف البحر كانوا من البربر^(٨٤) ومنهم من انتقل الى مناطق أخرى داخل الأندلس كانت وطأة الأزمة فيها اقل ألماً كمدينة شذونة التي تحوي نهر برياط ((فلجاً عامة أهل الأندلس واحتلوا واديها نهر برياط ٠٠٠ فسميت تلك السنة سنة برياط))^(٨٥) كما لجأ قسم آخر الى مدينة سرقسطة طلباً للخير والعيش الكريم حيث بقي هذا الإقليم في سعة ورخاء فضلاً عما انتهجه الوالي الصميل في بذل الأموال وتوزيع الطعام وإغاثة الجائعين^(٨٦).

وعلى هذه الصورة كان عدد من هاجر عظيم جداً حتى ان نواحي الشمال الأندلسي وغربه كادت تخلو من أهلها المسلمين فضلاً عن أعداد من هلك منهم بسبب المجاعة ، وطبيعي ان يستغل الأسباب هذه الفوضى في محاولة للسيطرة على ما يمكن من الأراضي فنقدموا واحتلوا تلك المناطق الخالية من السكان المسلمين من غير جهد فسيطروا على شمال الأندلس^(٨٧) وحكم ملكهم آنذاك الفونسو الأول جليقيي وغرب الأندلس وقشتالة القديمة ومناطق أخرى عديدة^(٨٨) وبهذا اتسعت رقعة دولة النصارى اتساعاً مفاجئاً بلغت به ضعف حجمها الأول وبالمقابل خسر المسلمون نحو ربع ما فتحوه من الأندلس^(٨٩).

وفي سنة (١٩٧هـ / ٨١٢م) وعلى عهد الأمير الحكم بن هشام دفعت ظروف القحط الشديد وما تلاه من مجاعة بالناس الى عبور البحر والهجرة نحو العدو المغربية للخلاص مما كان في الأندلس من جوع وحرمان نتيجة لتلك الظروف الطبيعية^(٩٠).

وعلى عهد الأمير نفسه وفي سنة (٢٠٢هـ/٨١٧م) وقعت هيجة الريض وكانت من اخطر ما صادف الأمير الحكم وبعد ان تمكنت قواته من إخماد الثورة أمر الحكم سكان الحي النائر ان يخلوا الريض فجرى هدم المنازل ومسح معالم هـ وحرث أرضه وشرّد أهل هـ فاتجه البعض الى ناحية طليطلة والبعض الآخر رحل الى المغرب نحو مدينة فاس وسكنوا طرفاً منها سميت بعد ذلك باسمهم (عدوة الأندلسيين) تقع في الطرف المقابل لمدينة فاس القديمة (عدوة القرويين) في حين اتجه القسم الثالث نحو الإسكندرية في مصر ومنه ا الى جزيرة اقريطش (كريت) فاستولوا عليها وانشأوا فيها دولة إسلامية^(٩١).

لقد كان تهجير سكان الريض ابرز الظواهر التي خلفتها أزمة الفتنة تلك فترك الريض خالياً دون ان يعمر بل وتحول الى مقبرة سميت مقبرة الريض واستمر على هذا الحال الى ان سقطت مدينة قرطبة بيد النصارى عام (٦٣٣هـ/١٢٣٦م)^(٩٢).

وطبيعي ان يتأثر الاقتصاد الأندلسي بهجرة هذه الأعداد الكبيرة اذ ان سكانه كانوا من التجار والصناع وأهل الحرف فضلاً عن الفقهاء وطلبة العلم^(٩٣).

ويبدو ان كثرة التمردات التي كانت تقوم بين الآونة والأخرى في عصر الإمارة قد اضطرت سكان بعض المناطق المجاورة لمناطق الفتن ان يتركوا مدنهم للخلاص من غارات النافرين. كما حصل مع أهالي قلعة رباح (Castillo de Calatrava veija) الواقعة على الطريق بين طليطلة وقرطبة ففي عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط احتاج الى بناء موقع حصين للتصدي للناافرين عليه في طليطلة لة غير ان أهل طليطلة اخذوا يهاجمون قلعة رباح ويكثرون الإغارة عليها حتى اضطر معظم سكانها الى تركها بل أصبحت في سنة (٢٣٩هـ/٨٥٣م) مدينة مقفرة من السكان^(٩٤) حتى اضطر الأمير محمد بن عبد الرحمن الى نقل أعداد من السكان اليها في عام (٢٤١هـ/٨٥٥م) بعد ان حصنها وزاد في بنائها^(٩٥).

وفي عام (٢٩٧هـ/٩٠٩م) وعندما اجتاحت الأندلس مجاعة شديدة ضربت مدينة جيان بقسوتها فسميت بسنة جوع جيان كان من أثرها ان مات أعداد كبيرة من الخلق وهاجرت أعداد كثيرة أخرى الى العدو المغربية للخلاص من قسوة الجوع^(٩٦).

اما في مدة الفتنة القرطبية فقد أدى الاضطراب الأمني والكساد الاقتصادي الى دفع الكثير من أهل قرطبة الى الهجرة لاسيما طبقة الحرفيين وأصحاب الأراضي الزراعية والتجار الذين تضررت أحوالهم نتيجة إهمال الأرض والخراب الذي عَمَّ القرى وكساد التجارة مما دفعهم الى التفكير في استغلال أموالهم وخبرتهم في مدن الأندلس الأخرى التي كانت أكثر أمناً واستقراراً^(٩٧).

وعلى سبيل المثال مدينة بجانة (pechina) التي (أمتها الناس من كل جهة واقبلوا اليها من كل ناحية فارين من الفتن التي كانت اذ ذاك شاملة)^(٩٨).

كذلك مدينة بلنسية التي (اقبل الناس اليها من كل قطر بالأموال ٠٠٠ واستوطنها جملة من جالية قرطبة القلقة الاستقرار)^(٩٩).

ويبدو ان هجرة أهالي قرطبة وما جاورها من القرى استمرت خلال سنوات الفتنة وتعاقب الخلفاء على عرش الخلافة في قرطبة حتى أصبحت أكثر قرى قرطبة خالية من ساكنيها ففي هذا يقول البكري ((عفت الفتنة ٠٠٠ آثار هذه القرى وغيبت رسوم ذلك العمران فصار أكثرها خلاء يندب ساكنيه))^(١٠٠).

فلا عجب ان تترخر كتب التراجم بأسماء العلماء الذين تركوا قرطبة وهاجروا الى مدن أخرى هرباً من الخوف والقتل^(١٠١).

كما كان للاضطهاد والتعسف الذي مارسه بعض ملوك الطوائف ضد رعاياهم دور كبير في نفوس السكان وتركهم مناطقهم كما هو الحال مع أهل بلنسية فأرهب الحاكمان مظفر ومبارك العامريان رعيتهما بالضرائب والجبايات حتى (تساقطت الرعية وجلت أولاً فأول وخربت أقاليمهم)^(١٠٢).

وتكرر هذا الحال مع أهل بلنسية فيما بعد عندما سيطر القادر بالله ابن ذي النون على المدينة من عام (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) الى عام (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) واخذ هو الآخر يفيض الغرامات والضرائب لدفع أموال الجزية السنوية للأسبان فضلاً عن تجاوزات القوات الأسبانية على حرمان الناس والمقيمة في المدينة حماية لحكم القادر بالله وعلى ذلك اضطر الكثير من أهل بلنسية الى النزوح منها وتركها نهائياً واللجوء الى المدن والممالك المجاورة من جراء تلك السياسة الطائشة التي اتبعها القادر بالله^(١٠٣).

كما عانى المسلمون من جراء استرجاع الأسبان لأراضيهم من ان تسقط مدينة ما بيد الأسبان حتى يحمل الناس أحمالهم ويهجروا مدنهم الى مناطق أخرى من البلاد وهكذا حتى لم يتبق أمامهم سوى مملكة غرناطة التي بقيت تستقبل النازحين من أهل الأندلس الى ان ضاق الرحب بأهلها واكتظت المدينة بالسكان لكثرة من قدم من المسلمين من جميع أنحاء الأندلس^(١٠٤).

٢ - النقص السكاني

لاشك ان الاستقرار الأمني والازدهار الاقتصادي من أهم العوامل المساعدة على زيادة عدد السكان سواء بكثرة الولادات أم بتوافد السكان من مناطق التوتر والاضطرابات الى المناطق الآمنة فضلاً عن التجار وأصحاب المهن الراغبين باستثمار ما لديهم من مال وخبرة في تلك البقعة وفي مثل هذه الحالات تكون تلك البلدان او المدن مناطق جذب سكاني.

وعلى العكس من ذلك فإن للمعارك والفتن التي قد يشهدها بلد ما دوراً كبيراً في تناقص سكان تلك المناطق اما نتيجة للقتل او لهجرة السكان عنها، وطبيعي لا يختلف الحال مع ظروف طبيعية قد تقع على البلاد من قحط وفيضانات وأمراض وأوبئة ومجاعات وغير ذلك مما يتسبب بموت وتشريد أعداد كبيرة من السكان.

ويعزو خالد الصوفي سبب وقوع تلك الأزمات في الأندلس الى سوء توزيع السكان بين مناطق البلاد فعلى الرغم من اتساع الرقعة الجغرافية للأندلس إلا ان قلة من يستثمر تلك المساحات الشاسعة كأن ينتج عنه ضيق مادي و أزمات اقتصادية بالرغم من ان عدد سكان الأندلس لم يتجاوز الخمسة ملايين اذ كانوا يتركزون في الجهات الجنوبية والشرقية في حين تركت المناطق الشمالية والغربية خالية من السكان تقريباً^(١٠٥).

إن جهلنا بلعدد السكان في مدن الأندلس خلال الفترات الزمنية التي مرت عليها منذ الفتح للإسلام وحتى سقوط غرناطة يجعل مسألة تقديم عرض كامل لفترات النمو او النقص السكاني أمراً صعباً، فكما هو معلوم ان اختلاف الدول والحكومات التي تزعمت سلطة البلاد خلال هذه الحقبة الزمنية الطويلة تباين معها وضع البلاد العام ما بين استقرار وازدهار الى فتن واضطراب وفي فترات أخرى أصبحت ولاية تابعة للمغرب.

وفي كل تلك الظروف اختلف تأثير الأزمات في سكان الأندلس واختلفت معه عناية المؤرخين بتدوين أحداثها العابرة منها بالتحديد وحتى ما عظم من خطب فقد يكتفي ن اقل الخبر بعبارات عمومية خاصة في حوادث المجاعات والقحوط و الأوبئة وما شابه تلك الأحداث او قد يورد أرقاماً لعدد القتلى والضحايا لا يتقبلها القارئ فيجدها ضرباً من المبالغة او تخميناً من المؤرخ بجهله بحقيقة الأرقام الصحيحة لعدد الضحايا في حدث ما ولاسيما وقائع الحروب والمعارك، وان كان لابد لنا ان نجزم قطعاً ان تلك الأزمات انما تكون العامة من السكان والطبقة المعدومة منهم على الأخص وقوداً لنارها لذا يكون من الصعوبة على المؤرخين آنذاك وبإمكاناتهم المتواضعة ان يقدموا لنا أعداداً حقيقية او مقبولة لمن ذهب ضحية لهذا الحادث او ذاك.

لقد تكرر حديثهم عن موت وهلاك أعداد من البشر سواء من جراء القحوط وانحباس الأمطار او المجاعات التي كانت تفتاح البلاد وما قد يتبعها من أوبئة وأمراض في اغلب الأحيان، ثم ما كان يجري من اضطرابات أمنية ابتداء من عصر الولاة وتلك المعارك الدامية التي جرت بين العرب اليمانية والقيسية والتي راح ضحيتها أعداد من البشر وما قد يخلفه هذا الأمر من تأثير سيء على الاقتصاد خاصة اذ كانت العناصر المقاتلة من أهل السوق وأصحاب المهن. ففي معركة شقندة (١٢٩هـ/٧٤٧م) لجأ القيسيون وعلى رأسهم زعيمهم الصميل بن حاتم في مواجهة خصومهم اليمانية للاستعانة بأهل السوق بقرطبة لحسم المعركة لصالحهم فأرسل الصميل الى الخبازين والقصابين وأصحاب الحوانيت والقرويين للاشتراك في هذا الصراع فأقبل اليه قرابة أربعمائة شخص يكادون يكونون من غير سلاح وان جهز بعضهم نفسه بالسيوف او الرماح والبعض الآخر بالسكاكين والعصي^(١٠٦).

فكان لهؤلاء الدور الأساسي في حسم المعركة لصالح القيسرية ولا نستعيد فكرة مقتل العديد منهم أثناء القتال ولا سيما ان قسماً منهم كان بدون سلاح والبعض الآخر بأسلحة بسيطة فضلاً عن عدم معرفتهم وقلة خبرتهم بفنون القتال.

لما أثرت الفتنة القرطبية (٣٩٩-٤٢٢هـ/١٠٠٩-١٠٣١م) على العامة في مدينة قرطبة فأودت تلك الأحداث بخلق كثير، ففي ورقة (قنتيش) ٤٠٠هـ/١٠١٠م اجتمع البربر بزعامة المستعين وبمساعدة النصارى حول قرطبة فخرج اليهم عامة قرطبة ودارت الدائرة على أهل قرطبة ليذهب منهم زهاء عشرين ألف رجل من الفقهاء وأئمة المساجد والمؤذنين وخلق آخر^(١٠٧). أضف الى تلك الأحداث الداخلية الحروب والمعارك الدامية التي كانت تدور سجلاً بين المسلمين والنصارى الأسبان على مر تاريخ الأندلس وما كانت تخلفه من ضحايا خاصة في أوقات ضعف السلطة وانهيار الدول.

كما كان لسوء تصرف وتقدير العامة من الناس في بعض المواقف والأحداث دور كبير في إفساح المجال أمام العدو لبذل السيف على رقابهم وإيقاع القتل بهم مثلما حدث في واقعة بطرنة عام (٤٥٥هـ/١٠٦٣م) عندما خرج أهل بلنسية من مدينتهم لقتال النصارى دون تأهب ولا حذر وعليهم ثياب الزينة والترف فهزموا هزيمة قاسية وقتل منهم يومئذ أعداد لا تحصى^(١٠٨). حتى قال عنهم الشاعر:

لبسو الحديد الى الوغى ولبستم حلل الحرير عليكم ألوانا
ما كان أقبحهم وأحسنكم بها لو لم يكن ببطرنة ما كان^(١٠٩)

ولنا أيضاً في حادثي اشبيلية ومرسية عام (٦٢١هـ/١٢٢٤م) مثال آخر لتهاون العامة وسوء تصرفهم، فقد أغار الروم الغربيون على فحص طلياطة Tejada من أعمال اشبيلية ونهبوا ما وجدوه وكان خير إغارتهم تلك قد وصل الى اشبيلية قبل ذلك فأصر العامة على الخروج لملاقاتهم والتصدي لهم^(١١٠).

ووصف لنا الحميري حال العامة عند خروجهم فيقول ((جد بالناس فخرجوا على كل صعب وذلول كبارهم وصغارهم بسلاح وبغير سلاح كما يخرجون الى نزهتهم في البساتين والجنان ٠٠٠ ولم يخرج معهم من الخيل إلا دون المائة والروم في عدد ضخم ٠٠٠ وأكثر جميع المسلمين بغير سلاح إلا ما لا قدرة له وانما هم أهل السوق والباعة))^(١١١).

فلما رأى العدو ما كانوا به من عدم التنظيم مال اليهم فأوقع بهم القتل فأفنى منهم بالقتل والأسر قرابة عشرين ألفاً، على الرغم من اختلاف الناس في تقدير عدد القتلى^(١١٢). وأشار ابن ابي زرع الى ان عدد من قتلوا في هذه الكائنة كان عشرة آلاف نفس^(١١٣).

ولم يختلف الحال في حادثة مرسية عن سابقتها فقد أغار الروم أيضاً على بعض أراضي عصف من قرى مرسية فخرج لقتالهم أهل مرسية غير ان العدو كان لهم بالمرصاد فأذهب منهم نحو أربعة آلاف رجل بين قتل وأسير^(١١٤).

ومما يستوقفنا هنا هو اختلاف سنة وقوع الحادثتين فيذكر الحميري ان حادثة اشبيلية وقعت عام (٦٢٢هـ/١٢٢٥م) وان حادثة مرسية وقعت عام (٦٢١هـ/١٢٢٤م) غير اننا نجهده وهو يتحدث عن مكانة مرسية يذكر كيف ان أهالي مرسية أعابوا على أهل اشبيلية هزيمتهم أمام الروم وما هي إلا أيام حتى وقع على مرسية ما جرى باشبيلية^(١١٥).

اما ابن ابي زرع فيجعل كلتا الحادثتين قد جرتا في عام (٦٢٢هـ/١٢٢٥م)^(١١٦). في حين اكتفى الناصري يذكر هجوم العدو على المسلمين بلالأندلس بعدة مواضع من البلاد وقتله ألوفاً من الخلق حتى خلت المساجد والأسواق وذلك في عام (٦٢٢هـ/١٢٢٥م)^(١١٧). وقد يفسر هذا الاختلاف في ان واقعة اشبيلية قد جرت في نهاية عام (٦٢١هـ/١٢٢٤م) وما هي إلا أيام حتى وقعت حادثة مرسية في بداية عام (٦٢٢هـ/١٢٢٥م) فحصر هذا الاختلاف، ومهما يكن من أمر فإن ما يعيننا هنا هو النتائج المترتبة التي أتت على العامة من الناس.

٣- الأمراض والأوبئة

أحدثت الأزمات الاقتصادية ولاسيما الشديدة منها أثراً مباشراً بالغاً في حياة البشر وشكلت في كثير من حالاتها تهديداً مباشراً على بقاء الناس فقد لاحظنا مدى ارتباط حوادث القحط والمجاعات وغلاء الأسعار وغير ذلك من مسببات الأزمات سواء الطبيعية منها أم البشرية مع انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة والمعدية حتى قلت أعداد الناس إما بالموت او الهجرة مما أدى الى ان تترك أراضي شاسعة دون زراعة، وأسواق وتجارة، دون ان تجد من يقدم عليها وكل ذلك يترك أثراً سلبياً في الأوضاع الاقتصادية للبلاد ويفاقم من تأثير الأزمة.

وان كانت حوادث انتشار الأمراض والأوبئة بين الناس قد تزداد عند ترافقها مع حوادث أخرى للأزمات الاقتصادية جراء تناول الناس للأطعمة والاشربة الوديئة والفاضة وغير الصالحة لتناول البشر بقلة الطعام والغذاء او لغلائه فيعجز عن اقتنائه ضعفاء الناس ومحتاجيهم إلا ان ذلك لا يعني عدم انتشار الأمراض بشكل منفرد.

فللأمراض التي تصيب الإنسان تؤثر فيه مباشرة فيموت من جرائها أعداد هائلة ويفر هرباً من يقدر على ذلك خوفاً من تلك الأمراض التي تكون فتاكة تجتاح المجتمع بأسره فتتعطل بذلك الحياة الاقتصادية لمدة قد تطول بسبب المرض وفقدان القوة العاملة الإنتاجية^(١١٨).

وقد ميز العلماء بين الطاعون والوباء اللذان يصيبان المجتمع فيعدون الطاعون وباء إلا أنهم يرون الوباء أوسع واشمل وبذلك يكون الطاعون نوعاً من أنواع الأوبئة^(١١٩).

أشار ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/٤٠٥م) الى سبب انتشار الوباء بقوله (وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة وإذا فسد الهواء وهو غذاء الروح الحيواني وملابسه دائماً فيسري الفساد الى مزاجه فإن كان الفساد قوياً وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين و أمراضها مخصوصة بالرئة وإن كان الفساد دون القوي والكثير فيكثر العفن ويتضاعف فتكثر الحميات في الأمزجة وتمرض الأبدان وتهلك)^(١٢٠).

وبوصف أدق هو مادة سمية تحدث ورماً قتلًا يصيب المناطق الرخوة من البدن وسببه دم ردى مائل الى العفونة والفساد^(١٢١).

وقد نهى رسول الله (ﷺ) التفريق عن الطاعون قال (إذا سمعتم بالطاعون في ارض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وانتم بها فلا تخرجوا فراراً منه)^(١٢٢).

تنتشر الأوبئة في المناطق المنخفضة والرطبة والمزدحمة بالسكان وقد تنتشر في أعوام المجاعات والقحوط حيث يضطر الناس في تلك الأعوام الى أكل الجيف وتكون في حالات مرافقة للحروب والحملات العسكرية^(١٢٣).

وفي الأندلس وعلى عهد الأمير الحكم بن هشام وقع الوباء الشديد في البلاد وذلك في عام (١٨٩هـ/٨٠٤م) ترافق معه المجاعة فكان سبباً في موت أعداد كبيرة من الناس^(١٢٤).

وعلى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن عم الوباء البلاد سنة (٢٦٠هـ/٨٧٣م) وانتشر فيها متزامناً مع غلاء الأ سعار وقلة الأقوات فهلك من جراء ذلك خلق كثير ولم يقتصر هذا الوباء على الأندلس فحسب بل شمل أيضاً افرقية وبلاد المغرب^(١٢٥) وقد ذكر ابن الأثير ان ذلك الوباء هو الطاعون^(١٢٦) وهذا يتماشى مع سعة الرقعة الجغرافية التي انتشر بها.

وبقدم ابن ابي زرع تفاصيل أوسع عن الوباء الذي حل بالبلاد عام (٢٨٥هـ/٨٩٨م) فقد سبقته مجاعة شديدة اضطر الناس معها الى أكل بعضهم البعض بعد ان فقدت الأقوات فانتشر المرض والوباء على اثر ذلك فقتل الكثير من الناس حتى استحال إحصاءهم فكان يدفن في القبر الواحد أكثر من شخص عجز معها تغسيل من مات منهم والصلاة عليه فكانوا يدفنون من غير غسل ولا صلاة لقلة القادرين على القيام بذلك^(١٢٧).

ويشابه وصف ابن ابي زرع عن هذا الوباء ما ذكره صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس إلا انه يجعل وقوع المرض والوباء وموت تلك الأعداد الكبيرة من الناس في عام (٢٨٨هـ/٩٠١م)^(١٢٨).

وزاد من عظم البلاء الذي حل بالأندلس من قحط وجفاف سنة (٣٠٢-٣٠٣هـ/٩١٤-٩١٥م) انتشار الوباء بين الناس . فقد بلغت الحاجة مبلغاً عظيماً وارتفعت الأسعار فانتشر

المرض بين ضعاف الناس حتى عجز عن دفنهم بقول ابن حيان في هذا (ووعات الموتان في هذه الأزمة) والموتان هو الموت العام ، بيد ان المرض سرى الى الجميع وطال علماء الأندلس وخيلهم حتى ان كثرتهم حالت دون ذكرهم هذا ما عدا من مات بمناطق بعيدة في ال بلاد عجز عن إحصائهم ومعرفة أعدادهم لبعد المسافة^(١٢٩).

وقد ذكر ان الوباء الذي حل بالأندلس في ذلك العام كان الطاعون فقد ورد ضمن الترجمة الشخصية لأحمد بن بيطير من أهل قرطبة وفقهائها الذي توفي بذلك الطاعون سنة (٣٠٣هـ/٩١٥م)^(١٣٠).

ويبدو ان طاعوناً قد وقع بالأندلس سنة (٣٣٨هـ/٩٤٩م) على عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر إلا اننا لا نعلم عن تفاصيله شيئاً سوى معلومة وردت ضمن ترجمة احمد بن دحيم القرطبي الذي توفي في هذه السنة بالطاعون وكان هذا من أهل العلم حافظاً لمذهب مالك تولى قضاء طليطلة الى ان توفي^(١٣١).

وفي عام (٣٤٤هـ / ٩٥٥م) وعلى عهد الخليفة نفسه وقع الوباء العظيم في الأندلس والمغرب أودى بلبواح خلق كثيرة^(١٣٢)، إلا ان هذا الوصف العام غير الدقيق يحول دون معرفتنا بحجم الخسائر البشرية التي ذهبت من جراء ذلك الوباء.

كما شهدت البلاد في عهد الحجابة العامرية وتحديدأ في عام (٣٧٣هـ/٩٨٣م) انتشار الوباء العظيم ووقوع الموت الكثير بين الناس تزامن ذلك مع سقوط الأمطار الكثيرة والتي تسببت بحدوث السيول^(١٣٣).

وفي عام (٤٠١هـ/١٠١٠م) وفي بداية أحداث الفتنة القرطبية كان الطاعون في الأندلس ولا نعلم إن كان هذا المرض في ذلك العام قد شمل جميع البلاد أم اقتصر على قرطبة فقط ، فقد ذكر ان الأخ الأكبر لأبي محمد علي بن حزم وهو ابو بكر كان قد توفي في سن مبكرة في الثانية والعشرين من عمره بالطاعون الواقع بقرطبة في تلك السنة^(١٣٤)، وتوفي احمد بن محمد بن الجسور الأموي بقرطبة في ذلك المرض في تلك السنة وكان من أهل العلم والحديث^(١٣٥) كما توفي فيه أيضاً عمر بن حسين الأموي وهو من شيوخ قرطبة وخيرة أهل العلم والدين فيها^(١٣٦).

ويبدو ان أخبار الأوبئة والطواعين التي تردنا عن طريق التراجم الشخصية لا تقدم لنا ما يكفي من الإيضاح انما تقتصر على ذكر الشخص وسنة وفاته بذلك المرض ، ففي سنة (٤٥١هـ/١٠٩٤م) توفي خلف بن يوسف المقرئ البرشتري من أهل الحديث والقرآن وكانت وفاته بالطاعون^(١٣٧).

ولم يقتصر تأثير الأوبئة والأمراض في المجتمع والناس فحسب بل كانت في بعض الأحيان تنقش في الجيوش المحاربة او المحاصرة لمدينة ما فتضطربهم الى الانسحاب وترك مواضعهم كما حدث للجيش المرابطي عام (٥٠٣هـ/١٠٩٩م) عندما كان عائداً من حصار

طليطلة^(١٣٨) متجهاً الى مجريط (Madrid)^(*) ووادي الحجرة (Guadalajara)^(*) وغيرها من القواعد لإعادة السيطرة عليها واستطاعوا تحقيق ذلك حتى دب الوباء في الجيش المرابطي فاضطر الأمير علي بن يوسف بن تاشفين الى مغادرة تلك الأراضي والعودة الى قرطبة خوفاً من استفحال الأمر^(١٣٩).

وفي عام (١١٣١هـ/١١٣١م) تزامن الغلاء والمجاعة مع اشتداد الوباء بالناس في قرطبة فكثر من جراء ذلك الموت بين الناس وانتشرت الفوضى في أرجاء المدينة وكثر أهل الشر والمروجين لها فكان والي المرابطين على قرطبة يجد في ملاحقتهم وعقابهم^(١٤٠).

وفي عام (١١٧٥هـ/١١٧٥م) عم الطاعون الشديد ارض المغرب الأقصى وكان فتاكاً قتل من العوام الكثير حتى بلغ عدد الضحايا كل يوم مائتي شخص ، ولحق المرض بساتات الموحدين وحاشية الخليفة حتى فني معظم رجال الحاشية والخدم^(١٤١).

إن ما يهمننا من هذا الوباء القاتل مدى تأثيره في الأندلس ولاسيما انها كانت تحت سيادة الموحدين واي عارض يصيب الدولة في المغرب ينعكس سلباً على الأندلس ووضعها الخاص بمحاورتها للممالك النصرانية، هذا اذا علمنا ان المرض لم يقتصر على الغرب فحسب بل امتد الى الأندلس وان كان بصورة خف مما هو عليه في المغرب إلا ان الموت لحق بعدد من شخصيات الأندلس وعامتها فاضعف المعنويات وقلة الأيدي العاملة فتعطلت التجارة والزراعة والصناعة فضلاً عن خسارة أعداد كبيرة من العناصر القتالية القادرة على مواجهة الممالك النصرانية التي استغلت الفرصة وأخذت تعيث بأرض الأندلس فساداً^(١٤٢) (وكان الناس من ضعف المرض والطاعون لا يقدرّون على الحركة)^(١٤٣) فلم يستطع الموحدون القيام برد حاسم نتيجة الظروف القاسية التي مرت بها الدولة في ذلك العام^(١٤٤).

واجتاح الوباء الشديد في عام (٦٣٥هـ/١٢٣٧م) بلاد المغرب والأندلس على عهد الخليفة الموحدي عبد الواحد الرشيد بن المأمون (٦٣٠-٦٤٠هـ/١٢٣٢-١٢٤٢م) وكان مرافقاً لغلاء شديد مما دفع أكثر أهل البلاد الى الهرب من تلك الأحوال السيئة^(١٤٥)، ولاسيما ان الدولة آنذاك كانت تعاني من الضعف والتفكك^(١٤٦).

غير ان اشد الطواعين فتكاً كان الطاعون الذي وقع في عام (٧٤٩هـ/١٣٤٧م) ودام عدة سنوات مما دفع بالعديد من الكتاب والشعراء الى تسجيل وقائعه فق د وصف الوزير لسان الدين ابن الخطيب تلك المحنة التي كان معاصراً لها وشاهد عيان لروعها وفتكها في رسالة عنوانها (مقنعة السائل عن المرض الهائل). كذلك تحدث عن هذا المرض طبيب المرية وشاعرها الكبير ابن خاتمة (ت ٧٧٠هـ/١٣٦٩م) حيث وصف عصف الوباء بثغر المرية في رسالة اسمها (تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد)^(١٤٧).

وتحدث عنه أيضاً محمد بن محمد الاسلمي ويعرف بالبلباني (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) من أهل المرية في تأليف أسماء (إصلاح النية في المسألة الطاعونية)^(١٤٨).

في حين كان الشيخ ابو الحسن النباهي شاهداً على ما وقع في بلدته مالقة فيقول في ذلك (وقد شاهدنا منه غرائب يقصر اللسان عن بيان جملة أجزائها ومنها انتهى عدد الأموات في تلك الملحمة الوبائية بمالقة الى ما يزيد في اليوم على الألف، بقي بعد ذلك أشهر حتى خلت الدور وعمرت القبور وخرج أكثر الفقهاء والفضلاء والزعماء)^(١٤٩).

ومما لاشك فيه ان هذا الطاعون كان الأقسى والأشد على الناس لذا فقد سقطت جمهرة عظيمة من أهل الأندلس بسببه من رجال الدولة وعامة الناس كان في مقدمة ضحاياه ذو الوزارتين الفقيه ابو الحسن علي بن الجياب توفي سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٧م) الذي تتلمذ على يده الكثير كان منهم لسان الدين ابن الخطيب والذي ورث خطة الوزارة بعده^(١٥٠).

كما فقدت الدار السلطانية كاتب السلطان ابا الحجاج يوسف الأول (٧٣٣-٧٥٥هـ/ ١٣٣٣-١٣٥٤م) محمد بن م حمد اللخمي في ذلك الطاعون فكانت فيهما الفجيعة عظيمة^(١٥١).

وممن توفي من أعلام غرناطة أيضاً بذلك الطاعون محمد بن احمد العطار واصله من المرية، ومحمد بن احمد السلمي خطيب قرية قنجه من قرى غرناطة^(١٥٢).
وعبد الرحمن بن عبد الملك الينشتي الذي امتاز بالنظر م والنثر واصله من كورة البيرة (Eliviro) (*)^(١٥٣).

اما مالقة فقد فقدت خيرة رجالها بهذا الطاعون فتوفي قاسم بن يحيى الزروالي المعروف بابن درهم كان علماً من أعلام مالقة في العلم والدين وكذلك محمد ابن احمد الامي المعروف بالقطان فقيه مالقة وواعظها^(١٥٤)، وممن ذهب ضحية الطاعون ومن أهل مالقة أيضاً محمد بن محمد الصريحي وهو من أهل الخير والمعروف كان قد تصدق بمال كثير وعهد برّيع مجزٍ لطلبة العلم في المدينة وجعل كتبه وفقاً لطلبة العلم . كما فقدت مالقة شيخها محمد بن عبد الله الأنصاري والذي كان له رحلة الى المشرق والحجاز فضلاً عن كونه حسن الرواية^(١٥٥).

وتوفي في ناحية قمارش (Comares) (*) محمد بن علي السكوني وكان خطيب جامع قمارش، ومن أهل الفضل في هذه المدينة محمد بن علي العب دري كان ناظماً للشعر والنثر له معرفة بالطب فان يقصده الناس توفي في ذلك الطاعون^(١٥٦).

ولم يقتصر الأمر على مدينتي مالقة وغرناطة فقط فقد توفي علي بن محمد البنا من أفاضل أهل وادي آش (*) بذلك الطاعون ولم يبلغ الثلاثين بعد ، وتوفي من وجهاء وعلماء المرية قاسم ابن محمد العمري^(١٥٧).

وفي مدينة لوشه (Loja)^(١٥٨) توفي خطيبها ومقرؤها احمد بن محمد اللوشي^(١٥٨) وقاضيتها احمد بن عبد الله الهاشمي الطنجالي وكان ممن له نظر في الطب^(١٥٩).

وقد استغلت الممالك النصرانية كعادتها الوضع المضطرب وانشغال المسلمين في ذلك الوباء القاتل فجهز ملك قشتالة (Casteile) الفونسو الحادي عشر سنة (١٣٤٨هـ/١٣٤٨م) جيشاً تقدم به للاستيلاء على جبل طارق (Gibralttar) وضرب الحصار حول المدينة إلا ان الوباء لحق بهم وفشا بين جنده فلهلك قسماً كبيراً كان الملك الفونسو أول ضحاياه فاضطر من بقى من الجيش للانسحاب وترك المدينة^(١٦٠).

وفي سنة (١٣٦٣هـ/١٣٦٣م) توفي بطاعون وقع في مدينة مالقة المقرئ احمد بن عبد الخالق ابو جعفر الجدلي^(١٦١)، ولا يوجد بين أيدينا أية معلومات أخرى تذكر هذا الطاعون وما خلفه من آثار على البلاد.

من كل ما سبق يمكننا ان نتصور مدى قوة ذلك الطاعون وشدته، فكتب التراجم المعاصرة لتلك المدة زاخرة بأسماء من قضوا بذلك الوباء من أهل العلم والدين وسواهم وان لم يذكرها كثيرون.

فللأوبئة والأمراض لا تصيب الإنسان فقط بل تصيب الحيوانات أيضاً وأي عارض يؤدي الى نفوقها وهلاكها ينعكس سلباً على الحياة الاقتصادية للبلد وإن كان ما وصل إلينا عن الحيوانات وتربيتهم بشكل عام قليلاً فكيف بنا ونحن نحاول رصد ما أصاب تلك الثروة من أمراض وأوبئة أودت بأعداد منها او ان لم يكن لها ذاك التأثير الكبير فمرت دون ان توقع خسائر تذكر.

نتائج البحث

تناولت الدراسة جانباً مهماً من جوانب التاريخ العربي الإسلامى من خلال تبيان أهمية النظام الاقتصادي وتأثيره في المجتمع والدولة اذا ما تعرض الى أزمات ومحن فلا بد لنا ان نذكر بإيجاز أهم ما توصلت اليه الدراسة من نتائج.

- شهدت الأندلس خلال الحكم العربي الإسلام ي ٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م العديد من الأزمات الاقتصادية التي تنوعت أشكالها واختلقت أسبابها بالرغم من كل ما عرفت به البلاد من سعة ورخاء.
- كان للعوامل الطبيعية الدور البارز في خلق تلك الأزمات الاقتصادية على الرغم من تباين تأثير كل عامل من العوامل بمدى خطورته وحجم ضرره.
- شكل الجفاف وانحباس الأمطار العامل الطبيعي الأكثر تأثيراً في سكان الأندلس نظراً لاعتماد الزراعة بشكل رئيس على الأمطار ومن ثم ارتباط الحالة المعاشية بالزراعة بوصفها الحرفة الأولى لغالبية السكان والمصدر الأساسي لتأمين قوتهم لذا كان ما خلفته سنوات الجفاف على الحالة المعاشية ضرراً كبيراً خاصة اذا ما تعاقبت تلك السنوات.
- ألحقت الفيضانات والسيول والزلازل أضراراً كبيرة بالاقتصاد من خلال ما أحدثته من خسائر في الأرواح والأموال وتخريباً في الممتلكات العامة والخاصة من قناطر ومساجد وأراضي زراعية ودور وغير ذلك.
- سببت الأمراض البشرية التي كانت تجتاح المجتمع ولاسيما الطاعون منها نقصاً واضحاً في أعداد السكان فكانت الأمراض سبباً في فقدان القوى البشرية العاملة والمنتجة وأذهبت بأعداد كبيرة عجزت في بعض منها إحصاء الضحايا خاصة تلك التي ترافقت مع وقوع القحط او المجاعة او الغلاء.
- كان لكل عوامل ومسببات الأزمات الاقتصادية مظاهر واضحة المعالم أبرزها هو ظهور المجاعة وانتشار الفقر والعوز بين الناس كما أدت في حالات أخرى الى الهجرة وموت أعداد من السكان نتيجة القتل او الجوع او المرض.
- إزاء ذلك كان لابد للدولة القيام بإجراءات وتدابير للحد من الأزمات الاقتصادية او تفاقمها اذا ما حصلت وشاركها المجتمع في بعض منها والتي اتسمت بطابعها الاجتماعي بينما انفردت السلطة بصفتها الرسمية بإجراءات إدارية واقتصادية كان لها دور في التخفيف من شدة الأزمة.

الهوامش:

- (١) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (مصر، دار الجيل ١٩٥٢م) ٧٥/٤، مادة أزم.
- (٢) ابو الفضل جمال الدين محمد بن منظور ، لسان العرب المحيط ، (بيروت، دار صادر د.ت) ١٦/١٢ مادة أزم؛ محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس . (بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ت) ١٨٥/١٨.

- (٣) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ٧٥/٤.
- (٤) ابو الحسين احمد بن زكريا بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، (د.م. دار الفكر، ١٩٧٩) ٩٨/١، مادة أزم.
- (٥) لسان العرب، ١٦/١٢.
- (٦) المصدر نفسه، ١٦/١٢.
- (٧) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ٧٥/٤.
- (٨) محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، عني بترتيبه ، محمد خاطر ، (مصر ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٦م) ص ١٥ مادة أزم.
- (٩) ابن منظور، لسان العرب ١٦/١٢؛ الزبيدي، تاج العروس، ١٨٥/٨.
- (١٠) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٩٨/١.
- (١١) عبد الإله البلداوي، إدارة أزمات ٠٠٠ العراق نموذجاً، ص ٤، بحث منشور ضمن الموقع الالكتروني kitabab@kitabab.com
- (١٢) مريم مصطفى الندوي، العلاقة بين خصائص القيادة الجامعية العراقية وإدارة الأزمات، دراسة ميدانية لعينة من بعض الجامعات في المنطقة الشمالية. أطروحة دكتوراه غير منشورة. (جامعة الموصل، كلية الإدارة والاقتصاد، ٢٠٠٤) ص ٦٩.
- (١٣) سورة لقمان، آية: ١٩.
- (١٤) الرازي، مختار الصحاح، ص ٥٣٦، مادة قصد.
- (١٥) عبد الجبار السبهاني ، الاقتصاد الإسلام ي، ص ١، بحث منشور ضمن الموقع الالكتروني <http://faculty.yuedu.II/sabhany>
- (١٦) المرجع نفسه، ص ١.
- (١٧) عطاء بن خليل ابو الرشته ، الأزمات الاقتصادية واقعها ومعالجتها من وجهة نظر الإسلام، ص ١، بحث منشور ضمن الموقع الالكتروني www.alsaha.com
- (١٨) طارق العزاوي، الفكر والتاريخ الاقتصادي، (ط٢، بغداد مطبعة الأزهر، ١٩٧٥م)، ص ٧.
- (١٩) ابو الوشئة، الأزمات الاقتصادية، ص ٢.
- (٢٠) اميمة الدهان ، إدارة الأزمات في المنظمات ، مجلة أبحاث اليرموك ، مج ٥، ع ٤ (عمان ، د. مط ، ١٩٨٩)، ص ٦٨.
- (٢١) ابن منظور ، لسان الع رب، ٦١/٨؛ مادة جوع؛ احمد الشرباصي ، المعجم الاقتصادي الإسلام ي، (بيروت، دار الجبل، ١٩٨١م)، ص ٤٠٧.
- (٢٢) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ، المقدمة، (بيروت - ١٩٩٩ م) ٣٠٢/١ ابن الأزرقي، عبد الله بن محمد ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق: علي سامي النشار . (العراق - ١٩٧٨م)، ٢٧٠/٢.
- (٢٣) إبراهيم القادري بوتشيش ، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين والموحدين، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٨م) ص ٢٠٠.
- (٢٤) الزجالي، ابو يحيى عبد الله بن احمد ، أمثال العوام في الأندلس مستخرجة من كتابه ري الاوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام، تحقيق: محمد بن شريفة. (فاس، مطبعة محمد الخامس ، ١٩٧١م)، ق٢/٨٦.
- (٢٥) بوتشيش، مباحث، ص ٢٠٠، هامش ٨.

- (*) حصن بطروش يقع الى الشمال من قرطبة باتجاه بطليوس وهو حصن كثير العمارة شامخ الحصانة لأهل جلادة وحزم على مكافحة ومقاومة أعدائهم. ينظر:
- الإريسي، ابو عبد الله محمد بن محمد ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، (القاهرة - ١٩٩٤م) ٥٨٠/٢.
- الرشاطي، ابو عبد الله محمد بن علي اللخمي ، اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في انساب الصحابة ورواة الآثار، تحقيق: محمد سالم هاشم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م)، ص ٢٠.
- (٢٦) الحميري، محمد بن عبد المنعم ، صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة - ١٩٣٧م)، ص ٤٥؛ شكيب ارسلان، الحل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، (بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٤٥/١؛ محمد عبدة حاملة، موسوعة الديار الأندلسية، (عمان - ١٩٩٩م) ٢٥٨/١.
- (٢٧) مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم ، تحقيق: إبراهيم الابياري، ط٢، (القاهرة - ١٩٨٩)، ص ١٨.
- (٢٨) محمد بن علي التوزري المعروف بابن الشباط، وصف الأندلس وصقلية قطعة من كتاب صلة الس مط وسمه المرط، تحقيق: احمد مختار العبادي ، (مريد، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية - ١٩٧١)، ص ١٣٦؛ ابو العباس احمد بن محمد المراكشي المعروف بابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: لؤلؤن وليفي بروفنسال، (بيروت، دار الثقافة، د. ت)، ٣٨/٢.
- (٢٩) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٠٠.
- (٣٠) مجهول، أخبار مجموعة، ص ٦١-٦٢؛ حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، (القاهرة، دار مطابع المستقبل، ١٩٨٠م) ص ٢٤٨؛ مصطفى ابو ضيف، القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية، (الدار البيضاء، د. مط، ١٩٨٣)، ص ١٠٧.
- (٣١) أخبار مجموعة، ص ٦٢؛ حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، (القاهرة، الشركة العربية ، ١٩٥٩م)، ص ٣٤٨؛ حاملة، موسوعة الديار ٣٠/١.
- (٣٢) مجهول، ص ٧٨؛ ينظر ابو ضيف، القبائل العربية، ص ١٠٨.
- (٣٣) مجهول، فتح الأندلس، تحقيق: خواكين دي كونثال، الجزائر، د. مط ١٨٨٩م)، ص ٤٦-٤٧؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، (لبنان، دار المعارف ١٩٦٢م)، ص ١٦٦.
- (٣٤) ابن عذاري، البيان المغرب ٣٧/٢، ٤٢؛ سعد زغول عبد الحميد ، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، (بيروت، مكتبة كريدية اخوان، ١٩٧٥م)، ص ١٣٨.
- (٣٥) مجهول، ذكر بلاد الأندلس وفضائها وصفاتها، تحقيق: لوييس مولينا مريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية بمعهد ميغيل اسين، ١٩٨٣م)، ص ١٣١.
- (٣٦) شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي (بيروت، دار الفكر، ١٩٩٨م) ٢٦٨/١؛ محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس (عصر الإمارة) ط٣ (القاهرة - ١٩٨٨)، ص ٢٣٩.
- (٣٧) البيان المغرب، ٧٣/٢. ينظر: علي محمد حمودة ، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي ، (القاهرة - دار الكتاب العربي - ١٩٥٧)، ص ١٤٥.
- (٣٨) عز الدين ابو الحسن علي بن محمد الجزيري ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، تحقيق: محمد يوسف دقاق، ط٤ (بيروت - دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م) ٤٧٠/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨١/٢.
- (٣٩) المقتبس، تحقيق: محمود علي مكي، (القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي - ١٩٧١م)، ص ٢٢٥.

- (٤٠) المصدر نفسه، ص ١٤٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب ٨٩/٢؛ ابو الحسن علي بن عبد الله ابن ابي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرياض، دار المنصور، ١٩٧٢م)، ص ٩٦.
- (٤١) البيان المغرب، ١٠٠/٢، ١٠٢.
- (٤٢) ابو بكر محمد بن عمر القرطبي المعروف ببلين القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبد الله انيس الطباع (بيروت، دار النشر للجامعيين ١٩٥٧م)، ص ١٠٦.
- (٤٣) ابن ابي زرع، الأنيس المطرب، ص ٩٦.
- (*) إبراهيم بن الحسين بن عاصم من أهل العلم والفضل رجل طالباً للعلم والفقه ولى أحكام السوق والشرطة أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن توفي سنة (٢٥٦هـ / ٨٦٩م). ينظر:
- عياض، ابو الفضل عياض بن موسى، بتقيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: قاسم علي سعد (دبي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ٢٠٠٢م)، ١/١٥٦.
- (٤٤) ابو عبد الله محمد بن الحارث الخشني، قضاة قرطبة (القاهرة، الدار لمصرية، ١٩٦٦م)، ص ١٠٣.
- (٤٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: انطونيا، ص ١٢٧.
- (٤٦) الأنيس المطرب، ص ٩٧.
- (٤٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٣٩/٢؛ حكمت علي الأوسي، فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، (ط٥، بغداد، مطبعة بابل، ١٩٨٧)، ص ٥٤.
- (٤٨) ابن حيان، المقتبس، تحقيق انطونيا، ص ١٤٦.
- (٤٩) ابن ابي زرع، الأندلس المطرب، ص ٩٨، مجهول، قطعة من تاريخ عبد الرحمن الناصر، تحقيق: ليفي بروفنسال وغرسيه غومث، (مريد، د.مط، ١٩٥٠م)، ص ٤٩-٥٠.
- (٥٠) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٦٧/٢.
- (٥١) المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ١٢٤.
- (٥٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، ص ١١٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٦٧/٢.
- (٥٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، ص ١١٣-١١٤؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (بيروت، مؤسسة جمال - ١٩٧٩م) ١٣٩/٤؛ أمين توفيق الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب و الأندلس، (ليبيا، الدار العربية للكتاب - ١٩٨٤م)، ص ١٣٨.
- (٥٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، ص ٢٥٠-٢٥١؛ عنان، دولة الإسلام (عصر الخلافة)، ص ٤٢٣.
- (٥٥) ابن عذاري، البيان المغرب ٢٣٦/٢؛ مثني فليف سلمان، الحياة الاجتماعية في الأندلس خلال القرن ٣ و ٤ هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩٠م)، ص ١٠٩.
- (٥٦) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٧٣.
- (٥٧) الأنيس المطرب، ص ١١٥، ينظر: مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق: عبد القادر بوبايه، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م) ص ٢٢٢.
- (٥٨) أعمال الاعلام، ص ٩٩.
- (٥٩) المصدر نفسه، ص ٩٩.
- (٦٠) ابن ابي زرع، أنيس المطرب، ص ١١٥.

- (٦١) ابو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق : إحسان عباس ، (بيروت ، دار الثقافة ١٩٦٥م) س ٥ ق ١ / ٣٣-٣٢؛ حازم غانم حسين ، دور العلماء السياسي والاجتماعي في الأندلس في عهدي الطوائف والمرابطين ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٩٥م)، ص ١٦٩.
- (٦٢) ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك ابن القطان ، نظم الجمان في أخبار الزمان ، تحقيق : محمود علي مكي (الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، د.ت)، ص ١٩٧ وما بعدها ؛ عنان ، دولة الإسلام (عصر المرابطين)، ص ١٣٥ ، بوتشيش ، مباحث، ص ٢٠١.
- (٦٣) البيان المغرب، الجزء الخاص بالبيان الموحي، ٢٤٤/٥ - ٢٤٥.
- (٦٤) ابن ابي زرع، الذخيرة السنوية في أخبار الدولة المرينية، (الرباط، دار المنصور، ١٩٧٢م)، ص ٣٧.
- (٦٥) ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠١/٣-١١٢.
- (٦٦) المصدر نفسه، ٣٣/٤، ٣٨-٤٠.
- (٦٧) المصدر نفسه، الجزء الخاص بالبيان الموحي، ٣٨١/٥-٣٨٢، ٣٨٥.
- (٦٨) المصدر نفسه، ٤٤٢/٥.
- (٦٩) مجهول، قطعة من تاريخ عبد الرحمن الناصر، ص ٥٠.
- (٧٠) ابن ابي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٠٠.
- (٧١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٣/٢.
- (٧٢) ابو عبد الله محمد بن حارث القيرواني الخشني ، تاريخ قضاة قرطبة ، (القاهرة ، الدار المصرية - ١٩٦٦م)، ص ١٠٣.
- (٧٣) ستانلي لين بول، قصة العرب في اسبانيا، ترجمة: علي الجارم ، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤م)، ص ٩٢-٩٥.
- (٧٤) ابن حبان، المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ١١٠.
- (*) قد يكون المقصود يحيى بن يحيى الليثي الفقيه المشهور صاحب الفضل في إدخال موطأ مالك الى الأندلس المتوفي عام (٢٣٤هـ/٨٤٨م)، إلا ان ما يستوقفنا هو ما قد ذكره المؤرخون من امتناع يحيى عن تولي أي منصب في الدولة رغم سعة علمه فلا نعلم ان كان هو المقصود أم غيره . ينظر : الضبي ، احمد بن يحيى بن عميرة ، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، (مريد ، مطبعة روخس، ١٨٨٤م)، ص ٤٨٣ ؛ ابن خلكان ، شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد ، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، (بيروت ، دار صادر ١٩٦٨م)، ١٤٣/٦ ؛ ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن سعيد بن موسى، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق : شوقي ابو ضيف ، ط ٢ (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤م)، ١/١٦٣.
- (٧٥) إسماعيل بن محمد الشقندي، رسالة في فضل الأندلس، كتاب ثلاث رسائل في فضل الأندلس وأهلها، تحقيق، صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٦٨م)، ص ٥٣.
- (٧٦) عبد الوهاب الدباغ، اثر الفتنة على الحركة العلمية في قرطبة، مجلة التربية والعلم ، العدد ٢٣ ، (جامعة الموصل، كلية التربية ١٩٩٩م)، ص ١٢٩-١٣٠؛ أحلام حسن النقيب، اثر الفتنة على علماء قرطبة ، مجلة آداب الرافدين، العدد ٣٥ ، (جامعة الموصل، كلية الآداب، ٢٠٠٢)، ص ١٤٦.
- (٧٧) سعد شلبي ، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف ، (القاهرة، دار نهضة مصر ، ١٩٧٨)، ص ٥٤.

- (٧٨) ابن حيان برواية ابن بس ام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس (بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٩م) ق ٣، مج ١ / ١٤-٢٠.
- (٧٩) رسالة في القضاء والحسبة، ضمن كتاب ثلاثة رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، (القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية - ١٩٥٥م)، ص ١٣.
- (٨٠) بوتشيش، مباحث، ص ١٦٩-١٧٠.
- (٨١) لسان الدين ابو عبد الله محمد السلماني ابن الخطيب، اللحة البدرية في الدولة النصرية، ط ٢، (بيروت، دار الآفاق الجديدة - ١٩٧٨م) ص ٤٠؛ محمد كمال شبانة، يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة، (الرباط، مطبعة الرسالة، ١٩٦٩م)، ص ٢٠٤.
- (٨٢) مجهول، نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر، تحقيق: محمد رضوان الدايدة (دمشق، دار حسان - ١٩٨٤م)، ص ٥٠.
- (٨٣) ينظر: ابو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي المعروف بالبخاري، صحيح البخاري، تنقيح: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة، دار البيان الحديثة، ٢٠٠٣م)، ص ٨٣-٨٤.
- (٨٤) ابن عذاري، البيان المغرب ٣٨/٢؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص ٦٢؛ ابو ضيف، القبائل العربية، ص ١٠٨.
- (٨٥) ابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي المعروف بابن الخراط، (اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق: محمد سالم هاشم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م)، ص ١١٤؛ ابن الشباط، وصف الأندلس وصقلية، ص ١٣٦.
- (٨٦) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢٣٥؛ رينهارت دوزي، تاريخ مسلمي اسبانيا؛ ترجمة: حسين حبشي، مراجعة احمد مختار العبادي وجمال محرز، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣م)، ص ١٧٧.
- (٨٧) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢٠٦.
- (٨٨) حتاملة، موسوعة الديار، ٣٠/١.
- (٨٩) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢٠٧.
- (٩٠) عنان، دولة الإسلام (عصر الامارة)، ص ٢٣٩.
- (٩١) الشيخ، محمد محمد موسى، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس (حتى أواخر القرن العاشر الميلادي)، (مصر، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٨١م) ص ٨٨؛ محمود علي مكي، التاريخ الأندلسي السياسي (٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م) دراسة شاملة، كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، ط ٢، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩م)، ٧٤/١-٧٥.
- (٩٢) ينظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق: مكي، ص ٢٥٣-٢٥٤، تعليق المحقق رقم ٥٧.
- (٩٣) مكي، تاريخ الأندلس، ٧٤/١.
- (٩٤) حتاملة، موسوعة الديار، ٨٧٤/٢.
- (٩٥) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٦٣؛ حتاملة، موسوعة الديار، ٨٧٤/٢.
- (٩٦) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: انطونيا، ص ١٤٦.
- (٩٧) عبد الوهاب الدباغ، الأندلس بين (٣٩٩-٤٢٢هـ/١٠٩-١٠٣١م) دراسة سياسية حضارية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٩٦م)، ص ١٣٠؛ يحيى ابو المعاطي محمد عباسي، الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب و الأندلس (٢٣٨-٤٨٨هـ/٨٥٢-١٠٩٥م) أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، ٢٠٠٠م) ص ٢٠٥-٢٠٦.
- (٩٨) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ٣٨.

- (٩٩) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، مج ١، ص ١٧.
- (١٠٠) ابو عبيد الله عبد الهلین عبد العزيز، جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، (بيروت، دار الإرشاد، ١٩٦٨م)، ص ١٠٥-١٠٦.
- (١٠١) ينظر: ابو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، (القاهرة، الدار المصرية، ١٩٦٦م)، ١/٢٧، ٣١-٣٢، ٣٨، ٤٦؛ عياض، ترتيب المدارك، ١/٤٢٨ و ٢/٦٦٤، ينظر: النقيب، اثر الفتنة، ص ١٤٠-١٤١.
- (١٠٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١٦٠.
- (١٠٣) عبد الفتاح مقلد الغنيمي، كيف ضاع الإسلام من الأندلس بعد ثمانية قرون مأساة الفردوس المفقود (٩٢-٨٩٧هـ / ٧١١-١٤٩٢م)، (الرياض، جامعة الملك فيصل، ١٩٩٣م)، ص ٢٧٧؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم بالأندلس، (بيروت، دار المدار الإسلامی، ٢٠٠٤م)، ص ٢٣٩.
- (١٠٤) شبانة، يوسف الأول، ص ٢٠٣.
- (١٠٥) تاريخ العرب في اسبانيا (نهاية الخلافة الأموية في الأندلس)، حلب، مكتبة دار الشرق، ١٩٦٣م، ص ٩٨.
- (١٠٦) المقري، نفح الطيب، ٣/٣٠٤؛ دوزي، تاريخ مسلمي اسبانيا، ص ١٧٥-١٧٦.
- (١٠٧) ابو عبد الله محمد بن عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد توفيق عويطة، ط٣، (القاهرة، د. مط، ١٩٦٣م)، ص ٨٨-٨٩؛ ابن خلدون، العبر، ٤/١٥٠؛ الدباغ، الأندلس بين (٣٩٩-٤٢٢هـ)، ص ١٦٣.
- (١٠٨) ابن عذاري، البيان المغرب ٣/٢٥٢-٢٥٣؛ المقري، نفح الطيب، ٤/٤٤٨.
- (١٠٩) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، مج ١، ص ٨٥٠ وما بعدها.
- (١١٠) حتاملة، موسوعة الديار الأندلسية، ٢/٦٨٩.
- (١١١) صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢٩.
- (١١٢) الحميري، المصدر نفسه، ص ١٢٩؛ حتاملة، موسوعة الديار، ٢/٦٨٩.
- (١١٣) الانيس المطرب، ص ٢٧٣.
- (١١٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٣٦؛ حتاملة، موسوعة الديار، ٢/٧٠٨.
- (١١٥) صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢٨-١٢٩، ١٣٦.
- (١١٦) الأنيس المطرب، ص ٢٧٣-٢٧٤.
- (١١٧) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، (الدار البيضاء، دار الكتب، ١٩٥٤م)، ٢/٢٦٤.
- (١١٨) مهني نافع خطاب المختار، الأزمت الاقتصادية في العراق، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة الموصل، كلية الآداب - ٢٠٠٨)، ص ٥٨.
- (١١٩) احمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط٣، (دمشق، دار الفحاء، ٢٠٠٠م)، ١٠/٣٢٢، المختار، الأزمت الاقتصادية، ص ٥٨-٥٩.
- (١٢٠) مقدمة ابن خلدون، (بيروت، دار إحياء التراث، ١٩٩٩م)، ص ٣٠٢-٣٠٣.
- (١٢١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ١٠/٢٢٢.
- (١٢٢) البخاري، صحيح البخاري، ص ٨٣ وما بعدها.
- (١٢٣) احمد عطية الله، القاموس الإسلامی، (القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٧٦م) ٤/٤٢٥.
- (١٢٤) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٣١.
- (١٢٥) ابن ابي زرع، الأنيس المطرب، ص ٩٦-٩٧.
- (١٢٦) الكامل في التاريخ، ١٦/٢٤٩.

- (١٢٧) الأنيس المطرب، ص ٩٧.
- (١٢٨) مجهول، ص ١٥٦.
- (١٢٩) المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ١٠٩-١١٠؛ مجهول، قطعة من تاريخ عبد الرحمن الناصر، ص ٥٠.
- (١٣٠) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ٢٨/١؛ عياض، ترتيب المدارك، ١٩٤/١.
- (١٣١) ابن الفرضي، المصدر نفسه ٣٦/١؛ عياض، المصدر نفسه ٢٠١/١-٢٠٢.
- (١٣٢) ابن ابي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٠٠؛ الناصري، الاستقصا، ١٩٣/١.
- (١٣٣) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٨١.
- (١٣٤) ابو محمد علي بن احمد ابن حزم ، طوق الحمامة في الألف والآلاف، تحقيق: نزار وجيه فلوح ، (بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٨م)، ص ٢٠٠.
- (١٣٥) ابن بشكوال، الصلة، ٢٣-٢٤.
- (١٣٦) المصدر نفسه، ٣٩٦/٢.
- (١٣٧) المصدر نفسه، ١٦٩-١٧٠؛ ارسلان، الحلل السندسية، ١٨٥/١.
- (١٣٨) عن الحملة المرابطية. ينظر: ابن الكريبوس، تاريخ الأندلس، ص ١١٦.
- (*) مجريط او (مدريد) مدينة صغيرة على مقربة من طليطلة بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن لها قلعة منيعة وحصنها من الحصون الجلييلة. ينظر:
- الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص ٣٨؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٧٩.
- (*) وادي الحجارة: مدينة تقع الى الشرق من طليطلة تعرف بمدينة الفر ج لها أسوار حصينة تكثر فيها الخيرات والبساتين. ينظر:
- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٣؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ٥٨-٥٩.
- (١٣٩) عنان، دولة الإسلام (عصر المرابطين)، ص ٦٩؛ سلامة محمد الهرفي، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، (بيروت، دار الندوة الجديدة، ١٩٨٥م)، ص ٢٠٠.
- (١٤٠) ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك المعروف بلبن القطان ، نظم الجمان في أخبار الزمان ، تحقيق، محمود علي مكي ، (الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، د.ت)، ص ١٩٧؛ عبد الله محمد حسين الزيات ؛ مظاهر اقتصادية في عصري المرابطين والموحدين ب الأندلس والمغرب ، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع ٤٦ ، (دبي، مركز جمعة الماجد، ٢٠٠٤م)، ص ١١٧.
- (١٤١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، الجزء الخاص بالبيان الموحي ، ١٠٩/٥؛ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، (بيروت، مؤسسة جمال، ١٩٧٩م)، ٢٤٠/٦.
- (١٤٢) مراجع عقيلة الغناي، سقوط دولة الموحدين، (بيروت، مطابع الشروق، ١٩٧٥م)، ص ١٢٩.
- (١٤٣) ابن عذاري، البيان المغرب، الجزء الخاص بالبيان الموحي، ١١١-١١٠/٥.
- (١٤٤) علي محمد الصلابي، دولة الموحدين، (بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٧م)، ص ١١٣.
- (١٤٥) كمال السيد ابو مصطفى ، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين ، (الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، د.ت)، ص ٩٣.
- (١٤٦) محمد س هيل طقوش ، تاريخ المسلمين في الأندلس ، (بيروت، دار النفائس ، ٢٠٠٥م)، ص ٥٥٨ وما بعدها.
- (١٤٧) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس ، (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٦٩م)، ص ١٠٣-١٠٤؛ محمد كمال شبانة، يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، (الرباط، مطبعة الرسالة، ١٩٦٩م)، ص ١١٢.
- (١٤٨) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: يوسف علي الطويل ، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م) ٢٤٦/٢-٢٤٧.

- (١٤٩) المراقبة العليا، ص ١٥٦.
- (١٥٠) إسماعيل بن يوسف ابن الأحمر ، رثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ، تحقيق: محمد رضوان الداية (بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٧م)، ص ٢٣٩-٢٤٠؛ عنان ، دولة الإسلام ، (نهاية الأندلس)، ص ١٦.
- (١٥١) ابن الخطيب، الإحاطة، ١٧٢/٢-١٧٤.
- (١٥٢) المصدر نفسه ١٤١/٣-١٤٢، ١٧٧-١٧٨.
- (*) البيرة ، مدينة قديمة تقع شمال غرب غرناطة على احد فروع نهر ش نيل كثيرة الثمار والأشجار والمعادن. ينظر:
- ابن غالب، فرجة الأنفس، ص ٢٨٣.
- (١٥٣) ابن الخطيب، الإحاطة، ٤٠٣/٣.
- (١٥٤) ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٢٠-٢٢١/٤ و ١٨٢/٣-١٨٣؛ النباهي، المراقبة العليا، ص ١٥٩.
- (١٥٥) ابن الخطيب، الإحاطة، ٥٥/٣ و ١٧٢-١٧٣.
- (*) قمارش: بلدة بالقرب من مالقة عبارة عن برج شاهق يعلوه بهو وفي هذا البهو كان يعقد مجلس العرش ولهذا سمي أيضاً بالمشورة، وبرج قمارش من اكبر أبراج مملكة غرناطة. ينظر:
- حسين مؤنس، رحلة الأندلس، ص ٢٣٣.
- (١٥٦) ابن الخطيب، الإحاطة، ١٣٨/٣-١٣٩ و ٦٨-٧٤.
- (*) وادي آش مدينة قريبة من غرناطة الى الشمال الشرقي منها تحيط بها الأنهار والمياه الكثيرة واهم آثارها القسبة (القلعة القديمة) وقد خص الله أهلها بلأدب والشعر. ينظر:
- المقري، نفح الطيب ١٤٩/١؛ مجهول، نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر ، تحقيق، محمد رضوان الداية، (دمشق، دار حسان ١٩٨٤م)، هامش ص ٦١.
- (١٥٧) ابن الخطيب، الإحاطة، ١٤٢/٤-١٤٥ و ٢٢٢-٢٢٣.
- (*) لوشة: من إقليم البيرة تقع في الجنوب الغربي من غرناطة وكانت مدينة هامة أيام دولة بني نصر وهي على نهر شنييل. ينظر:
- الحميري، صرقت جزيرة الأندلس، ص ١٧٣؛ مجهول، نبذة العصر، هامش ص ٥٧.
- (١٥٨) شمس الدين ابو الخير محمد الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ، نشره: برجستراسر ، ط٢، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٠م)، ٩٩/١.
- (١٥٩) احمد عيسى، معجم الأطباء، ذيل عيون الأنبياء في طبقات الأطباء لابن ابي اصيبعة ، ط٢، بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨٢م)، ص ١٠٩.
- (١٦٠) ابن الخطيب ، كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، تحقيق: محمد كمال شبانة ، مراجعة حسن محمود ، (القاهرة، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٦م) ص ٣٧؛ عبد الرحمن علي الحجي ، تاريخ الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة، (بيروت، دار القلم، ١٩٧٦م)، ص ٥٤٨.
- (١٦١) الجزري، غاية النهاية، ٦٦/١.